كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد العاشر ٢٠٢٢م

درء موهم التعارض بين آيات القرآن ووقائع الزمان

الدكتور
محسن عبد العظيم الشاذلي
أستاذ مساعد بقسم التفسيروعلوم القرآن
بجامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

محسن عبد العظيم الشاذلي.

قسم: التفسير وعلوم القرآن.

كلية: الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات.

جامعة: الأزهر.

دولة: جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: MohsenAl-shazly.٣٣@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا البحث -(**درء موهم التعارض بين آيات القرآن ووقائع الزمان**)- محاولة للإجابة عن عدة تساؤلات:

- هل وقع -في أي زمان- تعارض بين أخبار القرآن الكريم والواقع الذي يحياة الناس؟ وهذا أهم إشكاليات البحث؛ إذ هو نتيجةٌ، وما بعده مقدمات له.
- ما الأسباب التي تدفع صاحبها إلى توهم هذا الفهم الخاطئ للقرآن الكريم؟
- هل هناك آيات في القرآن الكريم يوهم ظاهرها التعارض مع واقع الحياة؟

- كيف يمكن أن ندفع هذا التوهم المزعوم بين القرآن الكريم وواقع الحياة؟

بينت فيه أسباب وقوع الوهم في فهم بعض الآيات القرآنية عند بعض الناس، ومنها:

عدم الوقوف على سائر النصوص الواردة، اجتزاء قراءة النص، عدم العلم بسبب نزول الآية، عدم العلم بلغة العرب وأساليبهم في الكلام، عدم العلم بالفروق اللغوية بين المصطلحات العربية، بوجهين واعتبارين، وهو الجامع للمتفرقات، عدم مراعاة زمان الخطاب، حمل الكلام على العموم وهو غير مراد، عدم تحديد المراد من الكلمة من حيث دلالتها، عدم العلم بكيفية قراءة القرآن، عدم العلم بأصول الدين وثوابته، وأن الآيات في هذا الباب محدودة جدا، وأن كل ما وقع من تلك الخواطر، مجرد أوهام، لا تثبت عند التحقيق العلمي فيها.

Abstract

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, his family, companions and those who are loyal to him, and after:

This research - **(warding off the illusion of contradiction between the verses of the Qur'an and the facts of time)** - is an attempt to answer several questions:

• Has there been a conflict - at any time - between the news of the Noble Qur'an and the reality that people live in? This is the most important research problem; It is a result, and what follows it is the introduction to it.

• What are the reasons that lead its owner to delude this misunderstanding of the Holy Qur'an?

• Are there verses in the Noble Qur'an that seem to contradict the reality of life?

• How can we push back this alleged delusion between the Noble Qur'an and the reality of life?

In it, I explained the reasons for the occurrence of delusion in the understanding of some Qur'anic verses for some people, including:

First: Not to stop at the rest of the texts mentioned.

Second: Partial reading of the text.

Third: Lack of knowledge because of the revelation of the verse.

Fourth: Lack of knowledge of the language of the Arabs and their ways of speaking.

Fifth: Not knowing the linguistic differences between Arabic terms.

Sixth: Two aspects and two considerations, which is the collector of the miscellaneous.

Seven: Not taking into account the time of the speech.

Eighth: Carrying the speech in general, and it is not intended.

Ninth: Not specifying the meaning of the word in terms of its significance.

Tenth: Not knowing how to read the Qur'an.

Eleventh: Lack of knowledge of the principles and constants of religion.

And that the verses in this section are very limited, and that all of those thoughts that occurred are mere illusions, which are not proven upon scientific investigation

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترضيه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه وبعد،

فالقرآن الكريم معجز، وإعجازه دائم وعام، أما دوامه فمعناه أنه لا يبلى مع الزمن، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وأما عمومه فمعناه عدم اقتصاره على جانب أو وجه واحد من وجوه الإعجاز، وهذا الدوام والعموم يجعله دائما غرضا لأعدائه، يحاولون النيل من قدسيته من خلال البحث عن أي خلل فيه، ويسلكون في ذلك شتى الطرق، ويتعاضدون ويتظاهرون على ذلك، وهيهات ينالون بغيتهم أو يصيبون غرضهم، ومن هذه الطرق التي سلكوها، والسبل التي طرقوها، زعمهم أنه –أي القرآن الكريم- لا يصلح لهذا الزمان!! وفي باطن هذه الدعوى محاولتهم بيان أن القرآن يتعارض مع الواقع المعيش فكيف يصلح للتطبيق فيه وهو-في زعمهم- متعارض معه؟ بل كيف يصدقه الناس والواقع- في زعمهم- يكذبه؟!!

فاستعنت الله ﷻ وكتبت في هذا الموضوع، وعنونته (درء موهم التعارض بين آيات القرآن ووقائع الزمان).

إشكالية البحث:

وهذا البحث محاولة للإجابة عن عدة تساؤلات:

هل وقع -في أي زمان- تعارض بين أخبار القرآن الكريم والواقع الذي يحياه الناس؟ وهذا أهم إشكاليات البحث؛ إذ هو نتيجةٌ، وما بعده مقدمات له.

ما الأسباب التي تدفع صاحبها إلى توهم هذا الفهم الخاطئ للقرآن الكريم؟

هل هناك آيات في القرآن الكريم يوهم ظاهرها التعارض مع واقع الحياة؟

كيف يمكن أن ندفع هذا التوهم المزعوم بين القرآن الكريم وواقع الحياة؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ولا يخفي على ذي عقل ما وصل إليه العقل البشري من اختراع وسائل إعلام تنقل الحدث والخبر والكلمة – في لمح البصر- إلى كل الدنيا، كما لا يخفي أيضا أن هناك موجات من الهجوم المغرض على الإسلام وشعائره، وفي القلب منها القرآن الكريم، ومن هذه الهجمات محاولة التشكيك في صدق آياته ببيان تعارضها مع واقع الناس وحياتهم!!!

فكل كلمة تقال في حق القرآن الكريم تطير بسرعة الريح، وتتناقلها شاشات التلفزة وصفحات الميديا في ثوان معدودة، وتقع عليها أنظار ملايين البشر، وربما تقع في قلوب ضعفاء الإيمان ومن لا علم لهم؛ فيصدقوها!!!

فلابد لهذه الشبهات من ردود؛ لنقطع الطريق على مروجيها، ولنزيل الشك من نفوس مصدقيها.

فكان هذا البحث؛ لعدة أسباب:

أولا: بيان زيف مثل هذه الشبهات، وعلامات هادية لدفعها؛ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾

ثانيا: التأكيد على مثالية وواقعية القرآن الكريم وارتباطه بحياة الناس.

ثالثا: التأكيد على سلامة الحلول والنظم القرآنية التي تضبط حياة الناس، وتعالج مشاكلهم، وتغير حالهم -لو طبقوها- إلى الأفضل.

رابعا: التأكيد على صلاحية القرآن لكل زمان ومكان وفئة، وأنه ليس مختصا بزمن نزوله أو مكانه أو الجيل الذي نزل فيهم.

صعوبات البحث:

أولا: قلة المراجع المعنية بهذا اللون خاصة، إذ إن كثيرا من هذه الشبه والإشكالات التي عرض لها البحث حول بعض الآيات القرآنية إنما هي من خواطر العقل وحديث النفس، ولم تجمع في كتاب، فيما وقفت عليه من كتب.

ثانيا: الاتهام بالفتنة !!، قد ينزعج القارئ من (أولا)؛ فتعزف نفسه عن النظر في ما بين يديه من صفحات، قائلا: كيف لمسلم -فضلا عن طالب علم- أن يثير مثل هذه الشبه، وقد علم أن تتبع مثل هذه الآيات نوع من الفتنة ﴿والفتنة أشد من القتل﴾؟!!

فاعلم هدانا الله أن الغرض صحيح، والنية صادقة في أن يكون هذا البحث دفاعا عن القرآن الكريم، وقطعا للمخالفين له أن يثيروا مثل هذا الكلام عنه يوما فلا يجدوا له ردا أو دفعا، وإن "مَعْنَى" ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ" طَلَبُ الشُّبُهَاتِ وَاللَّبْسُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يُفْسِدُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَيَرُدُّوا النَّاسَ إِلَى زَيْغِهِمْ»([1])

[1]) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٥)

وقد ذكر العلامة القرطبي رحمه الله في تفسيره كلاما طيبا في (متبعي المتشابه) ([1])، يستفاد منه عدة أمور:

** أن كلامه رحمه الله يتعلق بنوع واحد من المتشابه، هو الذي لا يعلم تأويله إلا الله من (آيات الصفات)، وليس هذا موضوع البحث،

** كما أن غرض البحث محاولة توضيح معاني هذه الآيات وبيان أنها لا تتعارض مع الواقع، ومثل هذا النوع لا أعلم له مانعا،

** أضف إلى ذلك أن بعض المفسرين قد جرى في بعض الآيات على هذا النحو، فكان يظهر اعتراضا -ظاهريا، افتراضيا- على الآية في مفهومها، ثم يعرض له بالجواب والدفع، فيقول مثلا " فإن قيل كذا، قلنا كذا " وسيأتي أمثلة على ذلك إن شاء الله.

** على أنه قد روى البخاري في صحيحه أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} قَالَتْ: فَقَالَ: " إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ ﴾ ([2])

فها هي أم المؤمنين عائشة أشكل عليها فهم آية؛ فسألت عنه النبي ﷺ، فبينه لها،

---

[1]) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٣)

[2]) انظر: صحيح البخاري» ك العلم ب من سمع شيئا فراجع فيه حتى يعرفه حديث رقم ١٠٢ (١/ ٣٢ ط السلطانية).

** وفي كتابه (البرهان) وفي (النوع الخامس والثلاثون) قال الزركشي: «وَذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ يَحْكِي عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لا أقسم بهذا الْبَلَدِ} فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُقْسِمُ بِهَذَا ثُمَّ أقسم به في قوله: {وهذا البلد الأمين} فَقَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ: أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ: أُجِيبُكَ ثُمَّ أَقْطَعُكَ؟ أَوْ أَقْطَعُكَ ثُمَّ أُجِيبُكَ؟!! فقال: بل اقطعني ثم أجبني! فقال: اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَضْرَةِ رِجَالٍ وَبَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمٍ وَكَانُوا أَحْرَصَ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَجِدُوا فِيهِ مَغْمَزًا وَعَلَيْهِ مَطْعَنًا، فَلَوْ كَانَ هَذَا عِنْدَهُمْ مُنَاقَضَةً لَتَعَلَّقُوا بِهِ، وَأَسْرَعُوا بِالرَّدِّ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ عَلِمُوا وَجَهِلْتَ، فَلَمْ يُنْكِرُوا مِنْهُ مَا أَنْكَرْتَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُدْخِلُ "لَا" فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهَا وَتُلْغِي مَعْنَاهَا وَأَنْشَدَ فِيهِ أَبْيَاتًا. (١)

** كما ذكر القرطبي في تفسيره شبهة –في هذا الباب– في قوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ فقال: «يُقَالُ: ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ لَا يَهْدِيهِ اللَّهُ وَمَنْ كَانَ ظَالِمًا، لَا يَهْدِيهِ اللَّهُ، وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُرْتَدِّينَ قَدْ أَسْلَمُوا وَهَدَاهُمُ اللَّهُ، وَكَثِيرًا مِنَ الظَّالِمِينَ تَابُوا عَنِ الظُّلْمِ»(٢) ثم شرع يرد على هذا الزعم المفترض!!

** كما ذكر وجوها يرد بها شبهة حول قوله ﷻ ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قال: " وَرُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمُلْحِدَةِ قَالَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ: أَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ" وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً" فَقَدْ دَخَلْنَاهُ وَفَعَلْنَا كَذَا وَكَذَا فَلَمْ يَأْمَنْ مَنْ كَانَ فِيهِ! قَالَ لَهُ: أَلَسْتَ مِنَ الْعَرَبِ! مَا الَّذِي يُرِيدُ الْقَائِلَ مَنْ دَخَلَ دَارِي كَانَ آمِنًا؟ أَلَيْسَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ

---

١) «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ٤٦)

٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٢٩)

أَطَاعَهُ: كُفَّ عَنْهُ فَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَكَفَفْتُ عَنْهُ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ" وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً". وَقَالَ يَحْيَى بْنُ جَعْدَةَ: مَعْنَى" وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً" يَعْنِي مِنَ النَّارِ. قُلْتُ: وَهَذَا لَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ "([1])

وقال النسفي رحمه الله -في قوله ﷻ ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾: " وإنما نفي الريب على سبيل الاستغراق، وقد ارتاب فيه كثير!!! لأن المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا أن أحداً لا يرتاب " ([2])

فهؤلاء جميعا -وغيرهم- قد عرضوا لهذا اللون من التساؤلات التي تحمل إشكالا في فهم آيات قرآنية، وعرضوا لها بالتوجيه ودفع الإشكال.

لذلك قال العلامة ابن حجر: «يُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَمِّ مَنْ سَأَلَ عَنِ الْمُشْكِلَاتِ عَلَى مَنْ سَأَلَ تَعَنُّتًا كَمَا قَالَ ﷻ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تشابه مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَة ﴾ وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ ﴿ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ فَهُمُ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ وَمِنْ ثَمَّ أَنْكَرَ عُمَرُ عَلَى صُبَيْغٍ لَمَّا رَآهُ أَكْثَرَ مِنَ السُّؤَالِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ، وَعَاقَبَهُ» ([3])

---

[1]) «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٤١) وذكر مثله في سورة النساء في الآية ٥٦ (٥ / ٢٥٦)

٢) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٨) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت - ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

[3]) فتح الباري لابن حجر» (١/ ١٩٧)

خطة البحث:

وهذا البحث محاولة للكلام عن هذا النوع من التعارض المزعوم، جعلته في مقدمة وقسمين، وخاتمة

تناولت في المقدمة إشكالية البحث، وأهميته وأسباب اختياره، والصعوبات التي تعترضه، وخطته،

والقسم الأول تكلمت فيه عن أهمية دراسة مبحث (موهم الاختلاف) وبعض ما كتب فيه، وأسباب الوقوع في هذا النوع من الوهم،

والقسم الثاني عرضت فيه نماذج من الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض بين القرآن وبين الواقع المعيش، وقمت بدفع هذا التعارض الظاهري؛ ليكون ذلك نقضا لما تتمسك به النفوس المريضة من زعم فاسد، وهدما لما تدعيه من خبر كاسد، وطريقا يهتدي بها كل من عرضت له شبهة من هذا النوع.

ثم الخاتمة وتضمنت أهم نتائج البحث، وتوصياته.

أسأل الله أن يرزقني فيه السداد في القول، والصدق في النية، وأن يجري الحق على قلبي وعقلي وقلمي ولساني، وأن يغفر لي ما كان فيه من خطأ أو زلل أو نسيان، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

القسم الأول
تمهيد

الدفاع عن الإسلام -بكل صور الدفاع- واجب كل فرد بحسب طاقته، وأعلى هذه الصور (الجهاد في سبيل الله)، وما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام إلا لأنه (دفاع) عن حرمته من ناحية، (وأمان) للمسلمين من ناحية، (وقطع لدابر أعدائه) من جهة ثالثة،

ومن صور هذا الدفاع: (الدفاعُ عن القرآن الكريم) برد الإشكالات عنه، ودفع الشبه الموجهة إليه ودحضها،

ولن أكون مغاليا إذا قلت إن مبحث (موهم التعارض) يقوم -في مباحث علوم القرآن- مقام (الجهاد) في شعائر الإسلام؛ إذ هو (دفاع) عن قدسية القرآن وصدقه، (وأمان) لقلوب المسلمين أن تزيغ عنه أو تضل فيه، (وقطع لدابر) المغرضين على اختلاف مذاهبهم.

وحين دون علماؤنا –قديما- مباحث علوم القرآن؛ لخدمة هذا الكتاب العظيم، جعلوا من بينها مبحث (موهم المختلف)([1]) أو(معرفة مُشكله، وموهم الاختلاف والتناقض) ([2])، وهو "باب عقده علماء التفسير؛ ليدفعوا عن القرآن شبها تَرِد على أذهان بعض من لا خبرة لهم بأساليبه ومقاصده وأصول تفسيره.

وهذه الشّبه التي عملوا جاهدين على تفنيدها ودحضها- بالحجة القاطعة والبرهان الساطع- هي مجرد خواطر ترد على الأذهان ثم لا تجد لها في

---

[1]) هكذا سماه الزركشي في البرهان، انظر: «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ٤٥)

[2]) «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٨٨)

القرآن مكانا تستقر فيه؛ فتزول من تلقاء نفسها، أو بعد شيء من التدبر، أو بسؤال أهل العلم؛ فلا يبقى لها أثر؛ لأنها من قبيل الوهم.

والوهم- كما تقول كتب اللغة: ما يقع في الذهن من الخاطر؛ يقال: وهم فلان: ذهب وهمه إلى الشيء وهو يريد سواه.

والقرآن الكريم كتاب أحكمت آياته إحكاما لا يقبل التناقض بحال، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والتناقض في القول: هو الاختلاف والتعارض،

والنقيضان في الكلام: (ما لا يصح أحدهما مع الآخر، نحو: هو كذا وليس بكذا، في شيء واحد وحال واحدة).

قال أبو بكر الصيرفي في شرح «رسالة الشافعي»: "جماع الاختلاف والتناقض: أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض.

وإنما التناقض في اللفظ: ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء، ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبدا؛ وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين، بأن يوجب حكما ثم يحلّه، وهذا لا تناقض فيه» ([1])

وقد اشتهر منه -أعني موهم الاختلاف والتناقض- أنواع:

الأول: موهم الاختلاف والتناقض بين القرآن وبعضه، وقد كتب فيه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) كتابه (تأويل مشكل القرآن)

[1]) الموسوعة القرآنية المتخصصة» (١/ ٦٢٤)

كما كتب فيه محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) كتابه الموسوم (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)

وتعود أهمية هذا النوع إلى أنه ينفي تعدد مصدر القرآن الكريم، إذ لو كان - أو كان شيء منه- ﴿من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾!!

والثاني: موهم الاختلاف والتناقض بين الأحاديث، وفي كتاب الطحاوي (مشكل الآثار) مواطن كثيرة منه، وفيه عدة رسائل علمية تحمل العنوان ذاته، وتعود أهمية هذا النوع إلى إثبات صدقِ النبي محمد ﷺ والتزامِه بما أوحي إليه من ربه، قرآنا وسنة، وأنه ﷺ لا يجوز له أن يعارض القرآن أو يزيد عليه ما ينقضه، أو ينقص منه حرفا ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾

والثالث: موهم الاختلاف والتناقض بين القرآن والعقل، والمشهور فيه كتاب (درء تعارض العقل والنقل)،

وتعود أهمية هذا النوع إلى إثبات التكامل بين الوحي والعقل وعدم التعارض بينهما.

ويمكن أن يُعَدَّ هذا البحثُ النوعَ الرابع: موهم الاختلاف والتناقض بين القرآن ووقائع الزمان، وتعود أهميته -كما سبقت الإشارة- إلى أنه يثبت مثالية وواقعية القرآن الكريم في حديثه عن واقع الناس، وهذا ما سيتبين في القسم الثاني من هذا البحث بإذن الله.

أسباب توهم التعارض عموما:

اشتهر مبحث (موهم الاختلاف) بوروده بين نصين، سواء كان النصان من القرآن، أو من السنة، أو أحدهما من القرآن والآخر من السنة ([1])، وقد ذكر العلماء لتوهم التعارض بهذا الشكل أسبابا تربو على العشرين ([2])،

لكن هذا النوع -الذي بين أيدينا- من التعارض، ليس بين نصين؛ لذلك لا تصدق عليه كل الأسباب المذكورة، ويمكن إرجاع توهم هذا النوع إلى الأسباب الآتية:

الأول: عدم الوقوف على سائر النصوص الواردة.

ذلك أن القرآن الكريم لم يتناول الخبر مرة واحدة، في موطن واحد، أو في شكل واحد، بل نراه يذكر الخبر الواحد على مراحل.. فيذكره مجملا في مكان، ثم يذكر شروطه في مكان، ثم فضائله في مكان، ثم عقوبة مخالفته في مكان آخر.. وهكذا،

والقصص القرآني خير مثال على ذلك، وانظر إلى قصة آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى... عليهم السلام في القرآن الكريم، تجد صدق ما أقول،

---

[1]) يقول الشيخ القيعي رحمه الله: «وأما موهم الاختلاف والتعارض، فإنه يرجع إلى نصين متقابلين في الدلالة ظاهرًا، ولا يوجد في القرآن تعارض باقٍ؛ لأن ما ثبت تعارضه ولم يمكن الجمع فيه يقال بالنسخ» «الأصلان في علوم القرآن» (ص٩٠)

[2]) انظر: «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ٥٤)، «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ١٠٠)، «الموسوعة القرآنية المتخصصة» (١/ ٦٢٧)

ومن أجل هذا الأسلوب القرآني جاءت فكرة (التفسير الموضوعي) الذي يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، ويستخرج مجموع ما جاء بخصوصها في القرآن الكريم.

فلا يصح مثلا أن يكتفي القارئ لقصة النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم بقوله ﷻ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] ثم يقول: هذا خبر قرآني غير صحيح !!؛ إذ لا يزال بعض من لا خلاق لهم يهاجم النبي ﷺ ويستهزئ به، في كلام، أو في رسم، أو في مقال، أو في فيلم؛

لأن هذا -أعني ما جاء في هذه الآية- جزء من أجزاء كثيرة تصف حياة سيدنا النبي ﷺ، جاء فيها بيان موقف المشركين -وكذا المنافقين، وأهل الكتاب- من دعوته ﷺ، وكيف أن الله ﷻ عاقبهم وأوعد من بقي منهم بما يستحقه، وسيأتي مزيد بيان لهذا الموطن أثناء البحث.

الثاني: اجتزاء قراءة النص،

والفرق بين هذا وسابقه: أن هذا خبر متكامل في موطن واحد، متصلة أجزاؤه، بينما الأول جزء من خبر طويل أراد الحق ﷻ أن يذكره على مراحل متعددة، فالأول -ربما- يعذر الواهم فيه بأنه جهل المواطن الأخرى التي ذكرت فيها أخبار متعلقة بما زل فيه، أما هذا فسوء نيته لا تحتاج إلى دليل، وخبث مقصده لا يصلح معه تأويل، فهو يسأل -مثلا- عن قوله ﷻ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ويقول أين هذه الخيرية التي تحدث عنها القرآن، ونحن نرى المسلمين عالة على غيرهم في معظم شئون حياتهم؟!!

ولو كلف نفسه فحرك طرف عينه؛ لقرأ الشرط الذي تغافل عنه ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ !! وسيأتي مزيد بيان لهذا الموطن أثناء البحث.

الثالث: عدم العلم بسبب نزول الآية،

وهذا السبب يشبه سابقه في أن كلا منهما يؤدي بالقارئ إلى أن ينزع الكلام من سياقه، إلا أن سياق (السابق) ملفوظ (أي مذكور) معه، وسياق هذا ملحوظ معه، وتناسِي أيِّهما يؤدي إلى خطأ في الفهم، ويسوق صاحبه لسوء الوهم، والمثال المذكور في السبب الأول يصلح للاستدلال به هنا، وسيأتي الحديث عنه في حينه.

الرابع: عدم العلم بلغة العرب وأساليبهم في الكلام، أراد الله للغة العرب أن تكون لغة القرآن الكريم قال ﷻ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [طه: ١١٣] وجعل اللسان العربي أقوم لسان ينطق القرآن، قال ﷻ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف: ١٢] واختار رسوله ﷺ من بين أفصح القبائل لسانا وأوعاهم لغة قال ﷻ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فالكتاب عربي، واللسان عربي، والرسول عربي فطبيعي أن لا يفهمه إلا من علم لغة العرب وخَبِرها، «وكان مَن بعد الصحابة مِن التابعين وأتباعهم يؤكدون هذا المبدأ، وينبهون على خطورة التَّصدي لتفسير كلام الله -عز وجل- دون العلم بلغة العرب.

يقول الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله -وهو تلميذ ابن عباس ﷺ -: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلَّم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب.

ويقول الإمام مالك ﷺ: لا أُوتى برجلٍ يفسِّر كتاب الله غير عالمٍ بالعربية إلا جعلته نكالًا» ([1])

وقالَ الشَّاطبيُّ (ت:٧٩٠): «لا بُدَّ في فَهْمِ الشَّريعةِ من اتباعِ معهودِ الأمِّيِّينَ، وهم العربُ الذين نزلَ القرآنُ بلسانِهم، فإنْ كانَ للعربِ في لسانِهم عُرْفٌ مُستمِرٌّ فلا يَصِحُّ العدولُ عنه في فَهْمِ الشَّريعةِ، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ عُرْفٌ، فلا يَصِحُّ أنْ يُجْرَى في فَهْمِهَا على ما لا تعرفُه، وهذا جَارٍ في المعاني والألفاظِ والأساليبِ» ([2])

فمعرفةَ اللُّغةِ العربيَّةِ شرطٌ في فَهْمِ القرآنِ؛ لأنَّ من أرادَ تفسيرَه، وهو لا يَعْرِفُ اللُّغةَ التي نزلَ بها، فإنه لا شَكَّ سيقعُ في الزَّلَلِ، بل سيحرِّف الكَلِمَ عن مَواضِعِهِ، كما حصلَ من بعضِ المبتدعةِ الذين حملوا القرآنَ على مصطلحاتٍ أو مدلولاتٍ غيرِ عربيَّةٍ؛ لذلك حين تكلم المفسرون قديما في العلوم التي يحتاج إليها المفسر عدوا منها (علوم اللغة) نحوا وصرفا واشتقاقا وبلاغة، ولا عجب!! ومن الأمثلة التي تؤكد أن عدم فهم اللغة العربية وأساليبها يؤدي لخطأ في فهم القرآن الكريم، ما ذكره القرطبي عند تفسير قوله ﷻ ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ {النساء: ٣}: "الثَّامِنَةُ- اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ لَا يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ تِسْعٍ، كَمَا قال مَنْ بَعُدَ فَهْمُهُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَزَعَمَ أَنَّ الْوَاوَ جَامِعَةٌ، وَعَضَّدَ ذَلِكَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَكَحَ تِسْعًا، وَجَمَعَ بَيْنَهُنَّ فِي عِصْمَتِهِ. وَالَّذِي صَارَ إِلَى هَذِهِ الْجَهَالَةِ، وَقَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ الرَّافِضَةُ وَبَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ، فَجَعَلُوا

[1] «تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير» (١/ ٢٦٥)

[2] «الموافقات» (٢/ ١٣١)

مَثْنَى مِثْلَ اثْنَيْنِ، وَكَذَلِكَ ثُلَاثَ وَرُبَاعَ. وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ إِلَى أَقْبَحَ مِنْهَا، فَقَالُوا بِإِبَاحَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ ثَمَانِ عَشْرَةَ، تَمَسُّكًا مِنْهُ بِأَنَّ الْعَدْلَ فِي تِلْكَ الصِّيَغِ يُفِيدُ التَّكْرَارَ وَالْوَاوُ لِلْجَمْعِ، فَجَعَلَ مَثْنَى بِمَعْنَى اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ وَكَذَلِكَ ثُلَاثَ وَرُبَاعَ. وَهَذَا كُلُّهُ جَهْلٌ بِاللِّسَانِ وَالسُّنَّةِ، وَمُخَالَفَةٌ لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ " ([1]) وسيأتي مثال لذلك عند الكلام في قوله ﷻ ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾.

الخامس: عدم العلم بالفروق اللغوية بين المصطلحات العربية، كما في (المستهزئين) في قوله ﷻ ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾، وقد تقدم في العنصر السابق ضرورة الإلمام بلغة العرب لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم.

السادس: بوجهين واعتبارين، وهو الجامع للمتفرقات، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ وَقَالَ: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خفي﴾ قَالَ قُطْرُبٌ: {فَبَصَرُكَ} أَيْ: عِلْمُكَ وَمَعْرِفَتُكَ بِهَا قَوِيَّةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ بَصُرَ بِكَذَا وَكَذَا، أَيْ عَلِمَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ، قَالَ الْفَارِسِيُّ: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ} وَصَفَ الْبَصَرَ بِالْحِدَّةِ» ([2]).

السابع: عدم مراعاة زمان الخطاب. كما في قوله ﷻ ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩] فهذه الآيات جاءت وصفا لواقع كان في زمن نزول القرآن الكريم؛

[1]) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ١٧)

[2]) «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ٦١)

فلا يصح القول إنه عام في كل زمان وفي كل الكافرين، وبالتالي لا تصح دعوى المعارضة فيه.

الثامن: حمل الكلام على العموم وهو غير مراد، كما في قوله ﷻ ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وسيأتي الكلام عن هذه الآية فيما بعد.

التاسع: عدم تحديد المراد من الكلمة من حيث دلالتها، ومن حيث الحقيقة والمجاز، ومن المعلوم أن الحكم بالحقيقة حين يراد المجاز خطأ خطير، كما أن الحكم بالمجاز حين تراد الحقيقة ضلال كبير!! نعم، قد يجمع بينهما في لفظ واحد باعتبارين مختلفين -وتفصيل هذا في كتب الأصول- لكن، إذا تعينت الحقيقة فلا يجوز القول بالمجاز، والعكس صحيح،

فمن الأول: قوله ﷻ ﴿ واصنع الفلك ﴾ فالمقصود بها الفلك على الحقيقة، والمجاز يمتنع هنا،

ومن الثاني: قوله ﷻ ﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ فالمقصود به التواضع واللين، وحقيقة (الجناح) تمتنع هنا،

وإنما يفرق بين الحقيقة والمجاز بأمور:

"أحدها: أن الحقيقة من الكلام جار في جميع ما وضع لإفادته، نحو (ضارب وعالم وقادر) الجاري على كل من له ضرب وعلم وقدرة، وكذلك (إنسان وفرس) المفيد الصورة تابع أبدًا لها أينما وجدت من غير تخصيص، وإلا بطلت دلالة الكلام وانتقضت المواضعة.

والمجاز مقصور على موضعه لا يقاس عليه، كالذي قلناه من قبل، لا يقال: سل البساط ويعني صاحبه قياسًا على قولهم: سل الربع وقوله سل القرية والعير.

والثاني: أن يكون ما جرى عليه الاسم حقيقة يستحق منه الاشتقاق، فإذا امتنع الاشتقاق منه علم أنه مجاز، نحو تسمية الفعل والشأن أمرًا على وجه المجاز، والأمر على الحقيقة بالشيء هو نقيض النهي عنه، وهو اقتضاء الفعل، ويشتق منه اسم أمر، ولا يشتق من القيام وقعود أمر، ولا من شيء من الأفعال، فوجب أن تكون تسمية الحال والشأن أمرًا جارية عليه مجازًا واتساعًا. ومنه قوله تعالى: {ومَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ}. وقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وفَارَ التَّنُّورُ} وقولهم: "ما أمر فلان وما حاله" يعنون شأنه وطريقه.

والثالث: أن يختلف جمع ما جرى الاسم على أحدهما مجازًا، والآخر حقيقة، فيعلم أنه مجاز في أحدهما لأن جمع الأمر الذي هو نقيض النهي أوامر، وجمع الأمر بمعنى الفعل والشأن أمور. فنقول: كيف أمر فلان؟ وكيف أموره؟ ولا نقول كيف أوامره. وإنما نقول ذلك في أقواله التي هي نقيض النهي.

والرابع: أن يكون لما جرى عليه الاسم حقيقة تعلق بغيره أو ما يجري مجرى الغير له. نحو العلم والقدرة والأمر الذي لكل شيء منه تعلق بمعلوم ومقدور ومأمور به، وذلك اتفاق. فإذا سمي ما لا تعلق له بأنه علم وقدرة وأمر كان ذلك مجازًا. ومنه قولهم في الأمر العجيب الخارق للعادة هذا قدرة الله، وهذا أمر الله، وقولهم: قد جاء علم الله من المطر والجراد، وإنما يعنون معلومه ومقدوره وفعله.

وجميع ما ذكرناه من قوله تعالى: {جِدارًا يُرِيدُ أن يَنقَضَّ} وقوله تعالى: {واسْأَلِ القَرْيَةَ} وقوله تعالى {لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ} وقوله تعالى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ} وقوله تعالى: {يُؤْذُونَ اللَّهَ} وهو يريد رسله وأولياءه. وقوله تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} وقوله تعالى: {وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}. وقوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} وقوله تعالى: {ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ}. وقول أهل اللغة في الرجل البليد: هذا تيس وحمار. وفي الشديد الأيد أسد وسبع. وفي الثقيل إنه جبل، وأمثاله أوضح دليل على أن في كتاب الله سبحانه وسنن رسوله ﷺ وكلام أهل اللغة مجازًا كثيرًا، اللهم إلا أن يقول قائل: إن الجدار يريد ويختار. وأن البليد تيس وحمار على الحقيقة، فلا يكون في عداد من يكلم» ([1])

العاشر: عدم العلم بكيفية قراءة القرآن:

ويدخل تحته ثلاثة مباحث (الوقف والابتداء، القراءات، الموصول لفظا المفصول معنى)

** الوقف والابتداء.. وهذا باب جدير بالنظر والبحث [2]؛ إذ وقع بسببه خلاف بين العلماء في مسائل عدة، منها -مثلا- اختلافهم في مسألة حكم

[1]) «التقريب والإرشاد (الصغير)» (١/ ٣٥٥)

[2]) ذكره صاحب البرهان في (النوع الرابع والعشرون) وقال: "وَهُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ وَبِهِ يُعْرَفُ كَيْفَ أَدَاءُ الْقُرْآنِ وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ وَاسْتِنْبَاطَاتٌ غَزِيرَةٌ وَبِهِ تَتَبَيَّنُ مَعَانِي الْآيَاتِ وَيُؤْمَنُ الِاحْتِرَازُ عَنِ الوقوع في المشكلات، وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ الزَّجَّاجُ قَدِيمًا كِتَابَ الْقَطْعِ وَالِاسْتِئْنَافِ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنُ عَبَّادٍ وَالدَّانِيُّ وَالْعُمَانِيُّ وغيرهم، وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ

البحث في معنى المتشابه، المشار إليها في قوله ﷻ ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ﴾، واختلافهم كذلك في (قبول شهادة الفاسق) المذكورة في قوله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، ومنها مسألة (وجود اليهود في أرض بيت المقدس)، المشار إليها في قوله ﷻ ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾ «لِأَنَّهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى: {فَإِنَّهَا محرمة عليهم أربعين سنة} كان المعنى مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَإِذَا وَقَفَ عَلَى: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ} كَانَ الْمَعْنَى مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أبدا وأن التيه أربعون» (١)، ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ ذلك الكتاب لا ريب، فيه هدى للمتقين ﴾ فيمكن بالوقف والابتداء حل إشكال وارد بين هذه الآية والواقع المعيش، كما سيأتي بيانه.

** القراءات.. قال الزركشي: «وَهُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ وَبِهِ تُعْرَفُ جَلَالَةُ الْمَعَانِي وَجَزَالَتُهَا وَقَدِ اعْتَنَى الْأَئِمَّةُ بِهِ وَأَفْرَدُوا فِيهِ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ (الْحُجَّةِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ)، وَكِتَابُ الْكَشْفِ لِمَكِّيٍّ وَكِتَابُ الْهِدَايَةِ لِلْمَهْدَوِيِّ وَكُلٌّ مِنْهَا قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى فَوَائِدَ وَقَدْ صَنَّفُوا أَيْضًا فِي تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ الشَّوَاذِّ وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ (الْمُحْتَسِبِ لِابْنِ جِنِّي) وَكِتَابُ أَبِي الْبَقَاءِ وَغَيْرِهِمَا، وَفَائِدَتُهُ كَمَا قَالَ الْكَوَاشِيُّ: أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى حَسَبِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ أَوْ مُرَجِّحًا» (٢) والعلم

عُمَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يعلمون مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ» «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٣٤٢).

١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٤٥)

٢) البرهان في علوم القرآن» (١/ ٣٣٩)

بها ضروري للتفسير، حتى عده العلماء من العلوم التي لا بد منها للمفسر، قال الذهبي «الثامن: - علم القراءات: إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض» ([1])

**الموصول لفظا المفصول معنى.. ومنه قوله ﷻ ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾ قال السيوطي: «وهو نَوْعٌ مُهِمٌّ جَدِيرٌ أَنْ يُفْرَدَ بِالتَّصْنِيفِ وَهُوَ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي الْوَقْفِ، وَبِهِ يَحْصُلُ حَلُّ إِشْكَالَاتٍ وَكَشْفُ مُعْضِلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} إِلَى قَوْلِهِ: {جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} فَإِنَّ الْآيَةَ فِي قِصَّةِ آدَمَ وَحَوَّاءَ كَمَا يُفْهِمُهُ السِّيَاقُ، لَكِنَّ آخِرَ الْآيَةِ مُشْكِلٌ حَيْثُ نُسِبَ الْإِشْرَاكُ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَآدَمُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ، وَالْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ مِنَ الشِّرْكِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا إِجْمَاعًا، وَقَدْ جَرَّ ذَلِكَ بَعْضَهُمْ إِلَى حَمْلِ الْآيَةِ عَلَى غَيْرِ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَأَنَّهَا فِي رَجُلٍ وَزَوْجَتِهِ كَانَا مِنْ أَهْلِ الْمُلْكِ وَتَعَدَّى إِلَى تَعْلِيلِ الْحَدِيثِ وَالْحُكْمِ بِنَكَارَتِهِ، وَمَا زِلْتُ فِي وَقْفَةٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي حَاتِمٍ -أسند إلى السُّدِّيِّ- فِي قَوْلِهِ: {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} قَالَ: هَذِهِ فَصْلٌ مِنْ آيَةِ آدَمَ خَاصَّةٌ فِي آلِهَةِ الْعَرَبِ» ([2])

فمن لا يعرف كيف يقرأ نصا؛ لن يفهمه بشكل صحيح، فكيف بالقرآن الكريم؟!!

---

١) التفسير والمفسرون» (١/ ١٩١)

٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٠٩)

الحادي عشر: عدم العلم بأصول الدين وثوابته.

وقد خصه الذهبي بعلم الكلام وقال: «وبه يستطيع المفسِّر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يُستحَل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات، والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسِّر في ورطات» ([1])، قلت: ومقصودي أعم من الاقتصار على (علم الكلام)، إذ أقصد ب(أصول الدين) ما يتناول العبادات والأخلاق والحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوانين النصر والهزيمة، والعقوبات الإلهية، ونحو ذلك، مما يعد ثوابت في الدين لا تقبل التغيير ولا التجزئة، ولا يجوز التنازل عنها،

والغفلة عن مثل هذه الأمور توقع (المفسر) في الخطأ ولا شك، كما سنرى عند الحديث عن قوله ﷻ ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾.

وقد حصرت الآيات القرآنية التي يمكن أن يوهم ظاهرها التعارض مع وقائع الزمان، فوجدتها تقارب العشرين آية ([2])، وكل ما فيها من شبهات وأوهام إنما هي بيت عنكبوت لا يثبت أمام أقل نسمة هواء!!

---

١) التفسير والمفسرون» (١/ ١٩١)

٢) وهي قابلة للزيادة كلما استغلق عقل المرء أوساءت نيته !!! وقد أثبتها مجموعة في آخر البحث، واكتفيت بالحديث عن بعضها، معتمدا على عقل القارئ في رد الباقي.

القسم الثاني

نماذج للآيات التي يوهم ظاهرها التعارض مع الواقع، ودفع الوهم عنها

الآية الأولى: قال ﷻ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢]

وجه التعارض: تصرح الآية الكريمة ومثيلاتها (١) بنفي الريب والشك والتهمة عن القرآن الكريم في كل العصور.

في حين أن كثيرا من غير المسلمين –في القديم والحديث– يرتابون فيه، ويتهمونه بشتى التهم كالبشرية، والزيادة والنقص، والتبديل واللحن، وعدم الصلاحية لكل الأزمان.

بل ظهر في العصر الحديث من أبناء المسلمين من يشكك في بعض ما جاء به القرآن، وأخذ (يجادل في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

الجواب:

سبب الوقوع في الوهم: عدم العلم بأساليب العرب في الكلام، وعدم العلم بوجوه قراءة الآية.

البيان والرد:

جاء في كتب التفاسير عدة توجيهات لهذا التركيب القرآني،

من ذلك ما أورده الثعلبي، فقال: "قال أهل المعاني: ظاهره نفي وباطنه نهي، أي لا ترتابوا فيه، كقوله تعالى: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ ﴾: أي لا

---

١) كقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ٣٧] وقوله ﷻ ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة: ٢] وقوله ﷻ ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت]

ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الهدى، والبيان وما يهتدي به ويستبين به الإنسان " ([1]).

وقال النسفي " وإنما نفي الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا أن أحداً لا يرتاب " ([2])

وجاء في روح المعاني: " وقيل إنه على الحذف كأنه قال لا سبب ريب فيه لأن الأسباب التي توجبه في الكلام التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوى العارية عن البرهان وكل ذلك منتف عن كتاب الله تعالى.

وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين، فالظرف صفة، و{لِّلْمُتَّقِينَ} خبر، و{هُدًى} حال من الضمير المجرور أي لا ريب كائناً فيه للمتقين، حال كونه هادياً، وهي حال لازمة فيفيد انتفاء الريب في جميع الأزمنة والأحوال ويكون التقييد كالدليل على انتفاء الريب، و{لا} لنفي اتصاف الاسم بالخبر، لا لنفي قيد الاسم فلا تتوجه إليه ليختل المعنى"([3]).

---

[1]) تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ١٤٢) لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور-مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي - الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٢) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٨) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت - ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

[3]) تفسير الألوسي (١/ ١١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني =

قلت: ويحتمل تعلقه بما قبله (ذلك الكتاب لا ريب)، وتعلق الجار والمجرور (فيه) بما بعده (هدى للمتقين) لا بما قبله، وهو مما يقرأ به كذلك.

فحاصل ما ذكر أن الإشكال مردود من أربعة وجوه:

الأول: حمل الكلام على الإنشاء، إذ هو في حقيقته نهيٌ.

الثاني: حمل النفي على معنى نفي الابتغاء لا نفي الوقوع.

الثالث: تقدير منفي محذوف من الكلام (لا سبب للريب فيه)

الرابع: تعلق الجملة ب(المتقين) المصرح بهم بعد لا بعموم المخاطبين بالقرآن.

ويمكن إضافة وجهين آخرين ندفع بهما الإشكال أيضا:

الخامس: حمل الكلام على حال دون حال.

السادس: ربطه لفظا ومعنى بما قبله (ذلك الكتاب لا ريب).

أما الوجه الأول -الذي أفاده الثعلبي رحمه الله-: فلا شك أن حمل الكلام على ظاهره وحقيقته أولى، وهو من أساليب البيان القرآني، لكن حمل (الخبر) على معنى (الإنشاء) صحيح أيضا، بل هو من أساليب البلاغة، وهو كذلك من أساليب القرآن الكريم، فليس كل خبر في القرآن على حقيقته، كما أنه ليس كل إنشاء في القرآن على حقيقته، فنرى القرآن الكريم يناوب بين الخبر والإنشاء، فيعبر بالإنشاء في موطن الإخبار، والعكس. وقد سبق ذكر مثال على ذلك، ومنه الآية التي معنا، فهي نهي في صورة الخبر -وهو

= لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ت: علي عبد الباري عطية - الطبعة: الأولى - دار الكتب العلمية – بيروت - ١٤١٥ هـ

أسلوب معروف عند البلغاء له أغراضه المتعددة (١)- فيجوز حملها عليه، جريا على أساليب العرب المعروفة في كلامهم.

وأما الوجه الثاني: وهو ما حكاه النسفي رحمه الله، فهو واقع بكثرة في القرآن خاصة مع الكون الماضي المنفي، كما في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقوله ﷻ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] وقوله ﷻ ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [التوبة: ١٢٠]

فهذه الآيات ونحوها لا يراد بها نفي الوقوع –إذ قد وقع ما تحدثت عنه فعلا- إنما المراد بها نفي الابتغاء، أي: ما ينبغي أن يقع مثله، فكذا معنى الآية هنا لا ينبغي أن يرتاب في هذا الكتاب أحد.

وأما الوجه الثالث: أن في الكلام حذفا (٢)، تقديره (لا سبب ريب فيه) فقد شرحه العلامة الألوسي بقوله –السالف ذكره-:" لأن الأسباب التي توجبه – أي توجب الريب- في الكلامِ التلبيسُ والتعقيدُ والتناقضُ والدعاوى العاريةُ عن البرهان، وكل ذلك منتف عن كتاب الله ﷻ ".

---

١) ينظر كتاب: البلاغة العربية أسبابها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة – ط: دار القلم دمشق، الدار الدمشقية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م (١/ ١٧٥ وما بعدها)

٢) لا أرى وجها للقول بالحذف هنا ، فأظنه تكلفا لا داعي له، وفي غيره من الوجوه الكفاية.

وأما الوجه الرابع: فمعنى الكلام عليه: أن (المتقين) لا يرتابون فيه، أما غيرهم فهم لا يصدقون، ولأن المتقين هم المعنيون بالكلام، والحديث في صفاتهم فلا سبيل لإقحام غيرهم في الكلام.

الوجه الخامس: حمل الكلام على حال دون حال **(الحال الخفية لا الظاهرة)**، فالكلام وإن كان يعم كل الناس غير أن المتقين لا يرتابون فيه ظاهرا ولا باطنا، أما غيرهم فهم -وإن أعلنوا التكذيب والتشكيك بلسانهم إلا أنهم- من داخلهم يصدقون أنه من عند الله ولا يرتابون فيه، كما صرح القرآن بذلك في غير آية، قال ﷻ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾[1] وقال ﷻ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: ٣٣]

وأما الوجه السادس: والذي يندفع به الإشكال كذلك، فهو أن تكون الآية منقسمة جملتين، الأولى (ذلك الكتاب لا ريب) والأخرى (فيه هدى للمتقين)

---

١) جاء في تفسير الماوردي: " قوله عز وجل: { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } فيه قولان: أحدهما: أنه التوراة والإنجيل، قاله الحسن، وقتادة، والسدي، وابن جريج. والثاني: أنه القرآن.

{يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُم} فيه قولان: أحدهما: يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، لأن صفته موجودة في كتابهم، قاله الحسن، وقتادة، ومن زعم أن الكتاب هو التوراة والإنجيل. والثاني: يعرفون الكتاب الدال على صفته، وصدقه، وصحة نبوته، وهذا قول من زعم أن الكتاب هو القرآن " انظر: النكت والعيون (٢/ ١٠٠) للماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) - المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

فيكون قوله تعالى (لا ريب) نفيا على حقيقته، متعلقا بما قبله من قوله (ذلك الكتاب)، ويستأنف الكلام بعد ذلك بقوله (فيه هدى للمتقين)، ولعل ذلك اوفق باتصال الكلام، لعدم احتياجه إلى تقدير محذوف، بخلاف الأول.

قال العلامة ابن عاشور: " فَإِنْ كَانَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ (ذلِكَ) إِلَى الْحُرُوفِ الْمُجْتَمِعَةِ فِي (الم) عَلَى إِرَادَةِ التَّعْرِيضِ بِالْمُتَحَدَّيْنَ وَكَانَ قَوْلُهُ (الْكِتابُ) خَبَرًا لِاسْمِ الْإِشَارَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، كَانَ قَوْلُهُ (لَا رَيْبَ) نَفْيًا لِرَيْبٍ خَاصٍّ وَهُوَ الرَّيْبُ الَّذِي يَعْرِضُ فِي كَوْنِ هَذَا الْكِتَابِ مُؤَلَّفًا مِنْ حُرُوفِ كَلَامِهِمْ، فَكَيْفَ عَجَزُوا عَنْ مِثْلِهِ، وَكَانَ نَفْيُ الْجِنْسِ فِيهِ حَقِيقَةً وَلَيْسَ بِادِّعَاءٍ، فَتَكُونُ جُمْلَةُ (لَا رَيْبَ) مُنَزَّلَةً مَنْزِلَةَ التَّأْكِيدِ لِمُفَادِ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ: ذلِكَ الْكِتاب" ([1]). والله أعلم.

وعليه؛ فمعنى الآية الكريمة:

إن ذلك القرآن المتلو عليكم، لا شك في أنه نازل من عند الله، فلا تشكوا فيه ولا ترتابوا، وهو مشتمل على منهج هدايتكم وطريق سعادتكم، إن أردتم سلوك سبيل المتقين والمؤمنين.

ويصح -على قراءة الوقف على (ريب)- أن يكون المعنى:

إن ذلك القرآن المتلو عليكم هو الكتاب النازل إليكم من ربكم، على لسان نبيكم، لا شك في ثبوت ذلك، وعلامة ذلك أن فيه هدى للمتقين. والله تعالى أعلم.

---

[1]) التحرير والتنوير (١/ ٢٢٢) «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ط: الدار التونسية للنشر– تونس ١٩٨٤ هـ.

الآية الثانية:

قوله ﷻ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾[1]

وجه التعارض:

يوحي ظاهر هذه الآية الكريمة أن الظالمين الذين منعوا الناس عن مساجد الله وكانوا سببا في خرابها، لن يدخلوا بيوت الله ﷻ إلا وهم خائفون،

بينما نرى بأعيننا كثيرا من بيوت الله ﷻ في أرضه قد استحالت متاحف ومزارات يردها الناس من كل مكان على اختلاف أديانهم!! فهل يتعارض خبر القرآن مع هذا الواقع؟

الجواب:

سبب الوقوع في الوهم: عدم العلم بأساليب العرب في الكلام.

البيان والرد:

اختلف المفسرون في المراد من (من منع) و(مساجد الله)، فمنهم من حملهما على العموم في كل مانع وكل مسجد، وهو ظاهر اللفظ.

ومنهم من خص المانع بشخص معين [2] وخص المساجد بالمسجد الحرام أو بالمسجد الأقصى، ومن ثم راحوا يؤولون قوله تعالى (أولئك ما كان لهم

---

[1]) سورة البقرة ١١٤.

[2]) قال أبو حيان: نزلت في نَطُّوسَ بْنِ اسْبِيسْيَانُوسَ الرُّومِيِّ، الَّذِي خَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَلَمْ يَزَلْ خَرَابًا إِلَى أَنْ عُمِّرَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ....وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ، فِي الرُّومِ الَّذِينَ أَعَانُوا بُخْتَ نَصَّرَ عَلَى تَخْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ: حِينَ قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ" انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٧١)

أن يدخلوها إلا خائفين) فبعضهم حملها على الخبر المحض كالطبري اذ قال: " وهذا خبر من الله عز وجل عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، أنه قد حرم عليهم دخول المساجد التي سعوا في تخريبها، ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها، ما داموا على مناصبة الحرب، إلا على خوف ووجل من العقوبة على دخولهما" (١)

والواحدي حين قال: " {ما كان لهم أن يدخلوها إلاَّ خائفين} لم يدخل بيت المقدس بعد أن عمره المسلمون روميٌّ إلاَّ خائفاً لو عُلم به قُتل (٢)

وحملها آخرون على النهي (٣) وعليه فالخطاب للمسلمين عامة، أن لا يمكنوا غير المسلمين من دخول بيوت الله عز وجل، قلت: وهو مقبول في دفع الإشكال؛ إذ ليس كل ما نهينا عنه نتركه كما أنه ليس كل ما أمرنا به نفعله، فالتقصير طبيعة البشر، كما أنه بهذا المعنى يخرج الكلام عن الخبرية.

وحملها بعض آخر على الخبر لكن على وجه الاعتراض بين طرفي الكلام، فكأن قوله ﷻ في آخر الآية (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هو الخبر المتعلق بقوله ﷻ (ومن أظلم ممن منع مساجد الله...) ويكون قوله (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) اعتراضا بين الجزأين،

---

١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢/ ٥٢٠)

٢) الوجيز للواحدي (ص: ١٢٦)

٣) نفله البيضاوي فقال:" وقيل: معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد" تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٠١)

قال الماتريدي: "ويحتمل قوله: (مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ): ما كان ينبغي لهم -بما عليهم من حق الله، وتعظيمه- أن يدخلوا المساجد إلا خائفين وجلين؛ لما كانت هي بقاع اتخذت لعبادة الله، ونسبت إليه تعظيمًا لها؛ فدخلوا مخرّبين لها، مانعين أهلها من عبادة الله فيها " (١).

وقال أبو حيان: " وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْنَى: أُولَئِكَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ إِلَّا وَهُمْ خَائِفُونَ مِنَ اللَّهِ وَجِلُونَ مِنْ عِقَابِهِ. فَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَلْتَبِسُوا بِمَنْعِهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالسَّعْيِ فِي تَخْرِيبِهَا، إِذْ هِيَ بُيُوتٌ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ؟ وَمَا هَذِهِ سَبِيلُهُ يَنْبَغِي أَنْ يُعَظَّمَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِ، وَيُسْعَى فِي عِمَارَتِهِ، وَلَا يَدْخُلَهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا وَجِلًا خَائِفًا، إِذْ هُوَ بَيْتُ اللَّهِ أَمَرَ بِالْمُثُولِ فِيهِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْعِبَادَةِ. **وَنَظِيرُ الْآيَةِ أَنْ يَقُولَ**: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ قَتَلَ وَلِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى؟ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَلْقَاهُ إِلَّا مُعَظِّمًا لَهُ مُكْرِمًا أَيْ هَذِهِ حَالَةُ مَنْ يَلْقَى وَلِيًّا لِلَّهِ، لَا أَنْ يُبَاشِرَهُ بِالْقَتْلِ.

فَفِي ذَلِكَ تَقْبِيحٌ عَظِيمٌ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ، إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقَعَ ضِدُّهُ، وَهُوَ التَّبْجِيلُ وَالتَّعْظِيمُ" (٢).

ثم قال: "وَلَمَّا لَمْ يَقَعْ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لِلْمُفَسِّرِينَ، اخْتَلَفُوا فِي الْآيَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَنْهُمْ. وَلَوْ أُرِيدَ مَا ذَكَرُوهُ، لَكَانَ اللَّفْظُ: أُولَئِكَ مَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا خَائِفِينَ، وَلَمْ يَأْتِ بِلَفْظِ: مَا كَانَ لَهُمْ، الدَّالَّةِ عَلَى نَفْيِ الِابْتِغَاءِ " (٣).

---

١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (١/ ٥٤٣)

٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٧٤)

٣) نفسه: (١/ ٥٧٤)

وبذا يرتفع الإشكال من وجوه، الأول: حمل الآية على زمان مضى وانتهى، وهو أضعفها، الثاني: حمل الآية على النهي، والثالث: حمله على النفي مع اعتبار الجملة اعتراضية بين طرفي الكلام. وكلاهما حسن.

وعليه؛ فمعنى الآية الكريمة:

إن هؤلاء الظالمين الذين يحولون بين العباد وبين بيوت الله ﷻ لا حق لهم فيما يفعلونه بهذه البيوت، بل الواجب عليهم أن يعظموا بيوت ربهم ولا يمنعوا الناس عنها، كما لا يجوز للمسلمين أن يمكنوهم من دخولها إلا وهم -أي الظالمون- خاضعون خائفون.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]

وجه التعارض: جاء في كثير من التفاسير تفسير (العهد) بالإمامة؛ لسبق ذكرها، ففي معاني القرآن للزجاج: "المعنى: أن إبراهيم ﷺ كأنَّه قال: واجعل الإمامة تنال ذريتي، واجعل هذا العهد ينال ذريتي، قال اللَّه: (لا ينال عهدي الظالمين)"([1]).

ونحوه في بحر العلوم ([2]). والكشف والبيان ([3])

وعليه تتناقض الآية –في الظاهر– مع الواقع، إذ إننا نرى كثيرا من (الظالمين) يتقلدون مناصب الحكم، ويعمرون المساجد، ويعيشون في أمان.

سبب التوهم:

يرجع الوهم هنا لأمرين:

الأول: حمل الكلام على العموم في قوله تعالى (ومن ذريتي) وهو غير مراد.

والثاني: عدم تحديد المراد من كلمة (عهدي) في الآية.

البيان والجواب:

وعد الله سبحانه إبراهيم ﷺ أن يجعله إماما للناس، أي قائدا وقدوة لهم، كما قال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم) فطلب إبراهيم ﷺ أن تكون هذه الإمامة لذريته من بعده، فتكون هذه الذرية قائدة للمجتمعات في أزمنتها

---

[1]) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٠٥)

[2]) «تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (١/ ٩١):

[3]) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ٢٦٩)

المختلفة، فوعده سبحانه الاستجابة إذا تحققت ذريته بالطاعات وتجنبت الموبقات.

"فَإِنْ قِيلَ: كيف كان قوله: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) جوابًا لقوله: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) وكانت الرسالة في ذريته؛ كقوله: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ)؟

يحتمل قوله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي): أَحَب أَن تكون الرسالة تدوم في ذريته أَبدًا؛ حتى لا تكون بين الرسل فترات؛ فأُخبِر أَن في ذريته من هو ظالم، فلا ينال الظالم عهده.

ويحتمل: أَن يكون سؤالهُ جعلَ الرسالة في أَولاد إِسماعيل؛ لأَن العرب من أَولاده - عليه السلام - فأُخبر أن في أَولاده من هو ظالم؛ فلا يناله" ([1]).

ويندفع هذا الوهم بوجوه:

أولا: أن تكون (من) في الآية تبعيضية، أي: اجعل بعض ذريتي ينال شرف الرسالة، وأن يكون للناس عموما قدوة ومثالا، فأجيب: أن الرسالة لا ينالها من ليس لها أهل.

ثانيا: تحديد المراد بالعهد، فالمراد ب(عهدي) في الآية ليس الحكم والسلطان؛ لأن الآية لم تصرح بذكره أو تشر إليه، وليس معدودا في الوجوه التي ساقها الماوردي في معناه ([2])، إنما العهد: الرسالة والوحي كما ذكر

---

[1]) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (١/ ٥٥٥)

[2]) جاء في «تفسير الماوردي = النكت والعيون» (١/ ١٨٥):«وفي هذا العهد سبعة تأويلات: أحدها: أنه النبوة. والثاني: أنه الإمامة. والثالث: أنه الإيمان. والرابع: أنه الرحمة. والخامس: أنه دين الله. والسادس: أنه الجزاء والثواب. والسابع: أنه لا عهد عليك لظالم أنه تطيعه في ظلمة» باختصار.

الماتريدي ([1])، أو الأمان وصلاح الحال، كما أشار إليها العلامة الطبري رحمه الله في تفسيره. وهذه لم تتحقق للظالمين في أي زمان، أما الرسالة فأمرها ظاهر، وأما الأمان وصلاح الحال فلأنه لا يأمن على نفسه ولا ماله بسبب ظلمه وإن عاش في قصور مشيدة وبروج حصينة، قال الطبري رحمه الله: " هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ أَنَّ الظَّالِمَ لَا يَكُونُ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ أَهْلُ الْخَيْرِ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَوَابٌ لَمَّا تُوُهِّمَ فِي مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَئِمَّةً مِثْلَهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُصَيِّرِهِ كَذَلِكَ، وَلَا جَاعِلِهِ فِي مَحَلِّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ بِالتَّكْرِمَةِ بِالْإِمَامَةِ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ إِنَّمَا هِيَ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ دُونَ أَعْدَائِهِ وَالْكَافِرِينَ بِهِ.» ([2])

ثالثا: بيان زمان التحقق، وذلك على فرض أن يكون العهد على عمومه (يشمل الأمان، والسلطان والرحمة، وصلاح الحال) فيكون الكلام عن عدم حصول شيء من ذلك للظالمين في الآخرة لا في الدنيا، فقد ذكر الطبري بسنده «عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} ذَلِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنَالُ عَهْدَهُ ظَالِمٌ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ نَالُوا عَهْدَ اللَّهِ، فَوَارَثُو بِهِ الْمُسْلِمِينَ وَعَادُوهُمْ وَنَاكَحُوهُمْ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَصَرَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَكَرَامَتَهُ عَلَى

---

[1]) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٥٥): قلت: ربما يفهم من هذا التفسير للعهد أن الناس بعد ابراهيم عليه السلام قسمان، ظالم لا يوحى إليه، وغير ظالم يوحى إليه !! وهذا وهم، إذ إن معنى الكلام أن الرسالة تكون في غير الظالمين وليس بالضرورة أن يكونوا كلهم مرسلين. والله أعلم.

[2]) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٢/ ٥١١)

أَوْلِيَائِهِ "» ([1]) ويؤيده قوله تعالى في سورة الأنعام (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقوله تعالى في سورة محمد (والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم) وقوله تعالى في سورة الحاقة (ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه)

وعليه؛ فمعنى الآية الكريمة كما قال البغوي: «لَا يَنَالُ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ مَنْ كَانَ ظَالِمًا مِنْ وَلَدِكَ وَقِيلَ: أَرَادَ بِالْعَهْدِ الْأَمَانَ مِنَ النَّارِ وَبِالظَّالِمِ الْمُشْرِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ" (٨٢-الْأَنْعَامِ)» ([2])

[1]) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (٢/ ٥١٤)

[2]) تفسير البغوي – طيبة» (١/ ١٤٦)

الآية الرابعة: قوله ﷻ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وجه التعارض:

يفهم من ظاهر الآية الكريمة أن هذه الأمة هي خير الأمم، أي أفضلها، لكن الواقع المعيش يؤكد لنا اننا لسنا الأفضل، وأن الأمم الأخرى تسبقنا في مجالات كثيرة، في التعليم والصحة والاقتصاد والصناعة والاكتشافات.

البيان:

هذا النص الكريم -كما قال العلامة الماوردي-: «يحتمل وجوهًا:

يحتمل: (كُنْتُمْ): أي: صرتم خير أمّة أظهرت للناس؛ بما تدعون الخلق إلى النجاة والخير.

ويحتمل: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) في الكتب السالفة؛ بأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

ويحتمل: تكونون خير أمة إن أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر.

يحتمل: (كُنْتُمْ): صرتم خير أمة، وكانوا كذلك هم خير ممن تقدمهم من الأمم» ([1])

وكلها وجوه مقبولة، يندفع بها الإشكال المتوهم، ويمكن دفع هذا التعارض -المتوهم- من عدة وجوه أخرى، مثل بيان (معنى التفضيل)، معنى (أمة)، (الشرط في آخر الآية)، وتفصيل ذلك فيما يلي:

الوجه الأول: (معنى التفضيل):

من قواعد التفسير المتعلقة باللغة: أن "صيغة التفضيل قد تطلق في القرآن واللغة مرادا بها الاتصاف لا التفضيل" ([1]) وقد جاء في القرآن اسم التفضيل

---

[1]) «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٥٠)

مرادا به الوصف في كثير من الآيات، منها قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] ولا خير في المشرك ولا المشركة أصلا، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وعلى هذا الوجه يمكن حمل هذه الآية التي معنا، إذ ليس الغرض التفضيل بل الوصف،

الوجه الثاني: معنى (أمة):

وردت كلمة (الأمة) في القرآن على عدة وجوه، منها (الطريقة المتبعة)، كما في قوله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}. وهو معنى مقبول، -وإن لم يكن المعنى الأشهر هنا- لأنَّ "الأُمَّةَ الطريقة"(٢) ويؤيده ما ورد عن ابن عَبَّاسٍ – ﷺ – في قوله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قال: " خير الناس أنفعهم للناس» (٣) وفي بحر العلوم: «قال الكلبي: أخبر الله تعالى أن خير الدين عند الله دين أهل الإسلام، ووصفهم بالوفاء فقال تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... يقول: كنتم خير أهل دين كان الناس لا يظلمون من خالطهم منهم، أو من غيرهم، فجعلهم الله خير الناس للناس» (٤) وفي الكشف: « ليس خلق من أهل الأديان إلاّ قالوا: ليس علينا جناح فيما نصيب من غيرنا من أهل الأديان، ولا يأمرون من سواهم بالخير،

---

١) قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت ١ / ٢٥٨.

٢) «معانى القرآن للأخفش» (١/ ٢٢٩)

٣) «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٥٤)

٤) «تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (١/ ٢٣٨)

وهذِه الأمة يأمرون أهل كل دين وأنفسهم، لا يظلم بعضهم بعضًا، بل يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فأمة محمَّد – ﷺ – (خير الأمم للناس)» ([1])

ومفهوم الآية –على هذا–: أن الله سبحانه جعل طريق هذه الأمة –في شرائعها وتعاليمها– وسطا بين طرفين في الأمم السابقة عليها، كما قال سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). ([2])

ثالثا: (الشرط في آخر الآية): «وقال بعضهم: هذا الخطاب أصله إنَّه خوطب به أصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمَّة محمد، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام وهو قوله ﷻ:(تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)» ([3])، فكأن في الكلام تقديما وتأخيرا، وتقديره: إن أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر صرتم خير أمة أخرجت للناس، فليست الخيرية على إطلاقها بل هي مقيدة بالشرط المذكور بعدها، فإذا ما تدبرنا واقعنا وراجعنا تاريخنا وجدنا تلازما بين الخيرية وشرطها، فمتى وجد الشرط تحققت الخيرية، والعكس صحيح.

وقد نقل القرطبي رحمه الله وجوها أخرى في الآية فقال: " وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" عَلَى الشَّرَائِطِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ

---

[1]) «تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير» (٩/ ١٥٠)

٢) ولا يعكر على هذا الوجه إلا حاجته للتقدير أو القول بأن الكلام على سبيل المجاز، والقاعدة: أن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج، وأ، الأصل حمل الكلام على الحقيقة لا على المجاز.

[3]) «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (١/ ٤٥٦):

كُنْتُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وَقِيلَ: كُنْتُمْ مُذْ آمَنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ. وَقِيلَ: جَاءَ ذَلِكَ لِتَقَدُّمِ الْبِشَارَةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّتِهِ. فَالْمَعْنَى كُنْتُمْ عِنْدَ مَنْ تَقَدَّمَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ خَيْرَ أُمَّةٍ " (١)

وببعض هذه الأجوبة يندفع الإشكال ويزول الوهم.

وعليه؛ فمعنى الآية الكريمة: أيتها الأمة الخاتمة: قد قدر الله لكم -وعدا محققا- أن تكونوا خير أمة بين الأمم، وجعل لكم -لتحققوا هذا القدر العظيم- طريقا واضحا، علاماته: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى، فإن فعلتم -كلكم أو أكثركم- استحققتم هذا الوعد ونلتم هذا الشرف.

١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٧٠)

الآية الخامسة: قال ﷻ ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]

وجه التعارض:

جاء في بحر العلوم: «روي عن علي كرم الله وجهه، أنه سئل عن قوله ﷻ إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يسلطون علينا ويغلبوننا !!»([1])

فإذا كان ظاهر الآية يفهم منه وعد الله ﷻ المؤكد بعدم تسليط الكافرين على المؤمنين، إلا أن الواقع الحالي أن الغلبة والسطوة والسلطان لغير المسلمين، وأنهم -بهذه الغلبة- يتسلطون على المسلمين ويتحكمون في حياتهم، ويديرون أمورهم.

سبب الوقوع في الوهم:

أولا: عدم تحديد المراد من الكلمة.

ثانيا: حمل الكلام على العموم وهو غير مراد.

ثالثا: اجتزاء قراءة النص القرآني.

البيان:

أولا: عدم تحديد المراد من الكلمة.

جاء في نزهة الأعين النواظر: «السَّبِيل فِي اللُّغَة الطَّرِيق ويستعار فِي مَوَاضِع تدل عَلَيْهَا الْقَرِينَة.

وَذكر أهل التَّفْسِير أَن السَّبِيل فِي الْقُرْآن على أحد عشر وَجها: -

أَحدهَا: الطَّاعَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: (وأنفقوا فِي سَبِيل»

[1] «تفسير السمرقندي = بحر العلوم» (١/ ٣٥٠)

وَالثَّانِي: الْبَلَاغ. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي آل عمرَان: {وَلله على النَّاس حج الْبَيْت من اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا}.

وَالثَّالِث: الْمخْرج. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: {أَو يَجْعَل الله لَهُنَّ سَبِيلا}، وَفِي بني إِسْرَائِيل: {فضلوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا}.

وَالرَّابِع: المسلك. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: {إِنَّه كَانَ فَاحِشَة ومقتا وساء سَبِيلا}، وَمثله: فِي بني إِسْرَائِيل.

وَالْخَامِس: الْعِلَل. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: {فَإِن أطعنكم فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا}، أَي: لَا تعلل عَلَيْهَا بعد الطَّاعَة فتكلفها أَن تحبك.

وَالسَّادِس: الدّين. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى [فِي سُورَة النِّسَاء]: {وَيتبع غير سَبِيل الْمُؤمنِينَ} وفيهَا: (ويريدون أَن يتخذوا بَين ذَلِك سَبِيلا}، وَفِي النَّحْل: {ادْع إِلَى سَبِيل رَبك}.

وَالسَّابِع: الطَّرِيق. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلا}، وَفِي الْقَصَص: {عَسى رَبِّي أَن يهديني سَوَاء السَّبِيل}.

وَالثَّامِن: الْحجَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: {وَلنْ يَجْعَل الله للْكَافِرِينَ على الْمُؤمنِينَ سَبِيلا} وفيهَا: (فَمَا جعل الله لكم عَلَيْهِم سَبِيلا}.

وَالتَّاسِع: الْعدوان. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي حم عسق: {فَأُولَئِك مَا عَلَيْهِم من سَبِيل إِنَّمَا السَّبِيل على الَّذين يظْلمُونَ النَّاس}.

والعاشر: الْإِثْم. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي آل عمرَان: {قَالُوا لَيْسَ علينا فِي الْأُمِّيين سَبِيل} ([1])، فِي بَرَاءَة: {مَا على الْمُحْسِنِينَ من سَبِيل}.

---

[1]) يجوز أن يراد بالسبيل هنا (الحقوق)

وَالْحَادِي عشر: الْملَّة. وَمِنْه قَوْله ﷻ فِي يُوسُف: {قل هَذِه سبيلي أَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة} ([1])

فالصحيح أن المراد من (السبيل) هنا الحجة، وهو وارد عن ابن عباس رضي الله عنهما ([2])وحمله على غير المراد منه أوقع في هذا الوهم.

ثانيا: حمل الكلام على الظاهر -من العموم، والنفي- وهو غير مراد..

والعموم والنفي ظاهران من قوله (ولن)، إذ الأصل فيها عموم نفيها وقوع الفعل في كل زمان مستقبل؛ فهي لتأبيد النفي.

لكن إفادتها العموم هنا غير مرادة، بل النفي فيها حاصل في الآخرة، قال العلامة النسفي: «{وَلَن يَجْعَلَ الله للكافرين عَلَى المؤمنين سَبِيلاً} أي في القيامة بدليل أول الآية» ([3])

كما أن حملها على النفي المحض كذلك غير وارد؛ لأنها خبر في معنى النهي، "إذ المراد النهي عن جعل المؤمنين أنفسهم تحت سلطة الكافرين بأي طريق كان، وليس هذا خبرا محضا " ([4])

ثالثا: اجتزاء قراءة النص

وهذا لا ينم من فاعله إلا عن خبث نية، وسوء طوية،

ولو كلف نفسه فحرك إحدى عينيه لِما قَبْل هذه الجملة، لفهم سياق الآية ولوجد الزمان الذي تتحدث عنه، فالله ﷻ يقول: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ

---

[1]) «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» (ص٣٦٤)

[2]) انظر: «تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (١/ ٤٠٧)

[3]) «تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (١/ ٤٠٧):

[4]) قواعد التفسير لخالد السبت (٢ / ٤٩٨)

كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ فسياق الآية في حجج (متلونة) من المنافقين على المؤمنين في أوقات النصر والهزيمة؛ لينالوا ساعة النصر مغنما، ويجتنبوا ساعة الهزيمة مغرما!! هذا حالهم في الدنيا، وربما - لإعراض المسلمين عن جدالهم- يصيبون به لعاعة منها، أما في الآخرة فالله ﷻ سيكون الحاكم على حججهم جميعا، ولن يعطي فرصة للمنافقين أن يكون لهم حجة على المسلمين في مسألة الإيمان والكفر. وصدق الله ﷻ: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾!!!

قال القرطبي رحمه الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ تَأْوِيلَاتٌ خَمْسٌ: أَحَدُهَا- مَا رُوِيَ عَنْ يُسَيْعَ الْحَضْرَمِيّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيّ [بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) كَيْفَ ذَلِكَ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَنَا وَيَظْهَرُونَ عَلَيْنَا أَحْيَانًا! فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: مَعْنَى ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحُكْمِ، الثَّانِي- إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ لَهُمْ سَبِيلًا يَمْحُو بِهِ دَوْلَةَ الْمُؤْمِنِينَ، ويذهب ءاثارهم وَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، الثَّالِثُ- إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَجْعَلُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَتَوَاصَوْا بِالْبَاطِلِ وَلَا يَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَقَاعَدُوا عَنِ التَّوْبَةِ فَيَكُونُ تَسْلِيطُ الْعَدُوِّ مِنْ قِبَلِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) الرَّابِعُ- إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَجْعَلُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا شَرْعًا، فَإِنْ وُجِدَ فَبِخِلَافِ الشَّرْعِ. الْخَامِسُ: (سَبِيلًا) أَيْ حُجَّةً، عَقْلِيَّةً وَلَا شَرْعِيَّةً، يستظهرون بها، إلا أبطلها ودحضت " (١)

وكلها أوجه معتبرة، بها يتضح معنى الآية الكريمة، ويزول الوهم بفضل الله تعالى.

١) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٤١٩) باختصار

الآية السادسة:

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٣]

موطن الوهم:

ظاهر الآية يؤكد أن (عموم النصارى) أقرب مودة للمؤمنين، وأن لديهم من رقة القلوب ما يحملهم على الرأفة والرحمة والشفقة بخلق الله، وحملهم كذلك على الدخول في الإسلام حين يعرض عليهم، يقول النسفي: «وصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن» ([1])

والواقع والتاريخ -مع بعضهم عامة، ومع المسلمين خاصة- عكس ذلك!!

أما مع المسلمين فشيء من تاريخ الحملات الصليبية كاف ليكون دليلا على سوء خلقهم وجرائمهم، قال ابن الأثير: «وَقَتَلَ الْفِرِنْجُ، بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، مَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفًا، مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعُلَمَائِهِمْ، وَعُبَّادِهِمْ، وَزُهَّادِهِمْ، مِمَّنْ فَارَقَ الْأَوْطَانَ وَجَاوَرَ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ، وَأَخَذُوا مِنْ عِنْدِ الصَّخْرَةِ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ قِنْدِيلًا مِنَ الْفِضَّةِ، وَزْنُ كُلِّ قِنْدِيلٍ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَسِتُّمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَأَخَذُوا مِنَ الْقَنَادِيلِ الصِّغَارِ مِائَةً وَخَمْسِينَ قِنْدِيلًا نُقْرَةً، وَمِنَ الذَّهَبِ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ قِنْدِيلًا، وَغَنِمُوا مِنْهُ مَا لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِحْصَاءُ» ([2])

---

[1]) "«تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (١/ ٤٦٩)

[2]) «الكامل في التاريخ» (٨/ ٤٢٥)

وأما مع بعضهم فتاريخ الحرب العالمية الأولى والثانية لا يخفي على صغير أو كبير!!

فقد بلغ عدد ضحايا الحرب العالمية الاولى عشرة ملايين شخص تقريبا، معظمهم من جنود القوات التي شاركت في تلك الحرب. بينما تتراوح التقديرات حول عدد الذين راحوا ضحية الحرب العالمية الثانية ما بين اربعين مليونا وخمسين مليونا، أكثر من نصفهم مدنيون!!

فأي رحمة ورقة بقيت لدى هؤلاء، بل أي إنسانية يتغنى بها القرآن؟!!!

سبب الوقوع في الوهم:

جر إلى هذا الفهم الخاطئ أمران،

الأول: عدم العلم بأساليب العرب في الكلام.

الثاني: حمل الكلام على العموم وهو غير مراد.

البيان:

أما عدم العلم بأساليب العرب في الكلام.. فذلك أن القرآن لم يقل (أقرب الناس محبة ومودة للمؤمنين النصارى) انما قال (أقربهم مودة.. الذين قالوا إنا نصارى) وفي ذلك التعبير لطيفتان بفائدتين، ليستا في التعبير المقترح،

- أما الأولى -ذكرها العلامة ابن عطية في تفسيره- فقوله: " ولم يصف الله تعالى النصارى بأنهم (أهل ود) وإنما وصفهم بأنهم (أقرب) من اليهود والمشركين، فهو قرب مودة بالنسبة إلى متباعدين"([1])

يقول الزجاج: "وجائز أن يكون يُعْنَى بِه النَصارَى لأنهم كانوا أقَل مظاهرة للمشركِينَ من اليهود" ([1])

[1]) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٢٢٥)

إذن فالمسألة لا تعدو أن تكون بيان نسبة كل من الفريقين -اليهود والنصارى- إلى المسلمين، وكأن المعنى: اليهود أشد عداء للمسلمين من النصارى، والنصارى أقرب مودة للمسلمين من اليهود،

ويؤكد هذا المعنى ما نراه في العصر الحديث من نسبة الإقبال الكبيرة على الدخول في الإسلام من كل من الفريقين، ففي الوقت الذي نسمع فيه -كل يوم- عن دخول عدد كبير من النصارى للإسلام، لا نكاد نسمع -ولو كل عام- عن دخول يهودي واحد في الإسلام!!

يقول العلامة ابن عطية: " وقوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً معناه: ذلك بأن منهم أهل خشية وانقطاع إلى الله وعبادة وإن لم يكونوا على هدي، فهم يميلون إلى أهل العبادة والخشية وليس عند اليهود -ولا كان قط- أهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا، بل هم معظمون لها متطاولون في البنيان وأمور الدنيا حتى كأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يرى فيهم زاهد» ([٢])

- وأما الثانية فالتعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى: (الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى) في حين أنه لم يقل قبل (الذين قالوا إنا يهود)،

وفي التعبير بالاسم في الفريق الأول -اليهود- إشارة إلى أنهم أشد تمسكا بعقيدتهم، فتخليهم عنها أو استبدالهم الإسلام بها أمر مستبعد، بل في غاية البعد، وهم لذلك (أشد الناس عداوة) بخلاف التعبير بالفعل الماضي -قالوا-

---

[١]) «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٢/ ٢٠٠) قلت: وهو توجيه لطيف إلا أنه يجنح إلى التقدير في الكلام، والأصل الاستغناء عنه ما أمكن.

[٢]) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٢٢٥)

مع الفريق الثاني، الذي يفهم منه أنهم كانوا على حال، ومن الممكن أن يفارقوها إلى ما هو أفضل منها، وهم لذلك (أقربهم مودة).

ويجوز أن يكون في الكلام تقدير، "على معنى (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا)، ومنهم قوم (إِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرسولِ..)، يعني به ههنا مؤمنيهم "([1])

وأما أن الكلام ليس على عمومه، فذلك أنه يحتمل في المراد بالنصارى في الآية عدة وجوه،

- منها ما ذكره الزجاج رحمه الله: «أن نيفا وثلاثين من الحبش النصارى جاءُوا وجماعةً معهم، فأسلموا لمَّا تلا عليهم النبي ﷺ (القرآن)» ([2])
- «وقيل: إنها نزلت في النجاشيّ ملك الحبشة وأصحابٍ له أسلموا معه» ([3])
- ويحتمل أن يكون المراد بهم من آمن منهم خاصة، بدليل ما جاء في آخر الآية (يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)، وقد سبق ذكر هذا الوجه في كلام العلامة الزجاج، غير أنه كان نتيجة تأويل في الكلام.

وعلى فرض إرادة العموم في الكلام، فالآية لا تخالف الواقع ولا تعارضه، يقول ابن عطية رحمه الله: «وهذا خبر مطلق منسحب على الزمن كله وهكذا هو الأمر حتى الآن، وذلك أن اليهود مرنوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم،

---

[1]) «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٢/ ٢٠٠) قلت: وهو توجيه لطيف إلا أنه يعتمد على التقدير في الكلام، والأصل الاستغناء عنه ما أمكن.

[2]) «معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٢/ ٢٠٠):

[3]) «تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١٠/ ٤٩٩)

ودربوا العتو والمعاصي، ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة، فهم قد لجت عداواتهم وكثر حسدهم، فهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، وكذلك المشركون عبدة الأوثان من العرب والنيران من المجوس؛ لأن الإيمان إياهم كفر وعروشهم ثل، وبين أنهم ليسوا على شيء من أول أمرهم فلم يبق لهم بقية فعداوتهم شديدة، والنصارى أهل الكتاب يقضي لهم شرعنا بأن أول أمرهم صحيح لولا أنهم ضلوا، فهم يعتقدون أنهم لم يضلوا، وأن هذه الآية لم تنسخ شرعهم، ويعظمون من أهل الإسلام من استشعروا منه صحة دين، ويستهينون من فهموا منه الفسق، فهم إذا حاربوا فإنما حربهم أنفة وكسب، لا أن شرعهم يأخذهم بذلك، وإذا سالموا فسلمهم صاف، ويعين على هذا أنهم أمة شريفة الخلق، لهم الوفاء والخلال الأربع التي ذكر عمرو بن العاصي في صحيح مسلم، وتأمل أن النبي ﷺ سر حين غلبت الروم فارس، وذلك لكونهم أهل كتاب، ولم يُرد عليه السلام أن يستمر ظهور الروم، وإنما سر بغلبة أهل كتاب لأهل عبادة النار، وانضاف إلى ذلك أن غلب العدو الأصغر وانكسرت شوكة العدو الأكبر المخوف على الإسلام، واليهود لعنهم الله ليسوا على شيء من هذه الخلق بل شأنهم الخبث والليّ بالألسنة، وفي خلال إحسانك إلى اليهودي يبغيك هو الغوائل، إلا الشاذ القليل منهم ممن عسى أن تخصص بأدب وأمور غير ما علم أولا. » ([1])

وعليه؛ فالآية الكريمة: تذكر خبرين عن أهل الكتاب، وتسوق مع كل منهما دليلا، تقول: إنكم أيها المسلمون تجدون أهل الكتاب فريقين، فريق شديد

[1]) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٢٢٥)

العداوة لكم، شديد الحقد عليكم، شديد في البعد عن دينكم، وهم اليهود، وفريق دونهم عداوة وحقدا وبعد، وهم النصارى،

ودليل ذلك: أنكم قد عاينتنم بأنفسكم طوائف من اليهود عرفوا النبي ﷺ في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يبشرونكم به ويتوعدونكم إذا جاء أن يقاتلوكم به، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وقست قلوبهم، فهي كالحجارة أو أشد قسوة!!، كما عاينتم طائفة أخرى من النصارى عرض عليهم الإسلام، وتلي عليهم القرآن، فلانت قلوبهم للحق وأذعنوا له واتبعوه.

الآية السابعة: قوله ﷻ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]

موطن الوهم:

نسبت الآية الكريمة الأمن والطمأنينة إلى الفئة المؤمنة، الذين لم يخالطوا الشرك ولم يقاربوه، وماتوا على الإيمان، في حين أن الواقع المعيش ناطق بأن المؤمنين الموحدين فاقدون للأمن والطمأنينة في أوطانهم وأموالهم وأنفسهم.

ويمكن دفع هذا الوهم من وجهين:

الأول: تحديد المراد بـ(الذين آمنوا).

الثاني: تحديد زمان (الأمن) المذكور، وجهته.

البيان:

أما الوجه الأول: فقد ذكر المفسرون عدة أقوال في تحديد المراد بـ(الذين آمنوا) في الآية الكريمة، فنسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ أن المراد بهذه الآية إبراهيم خاصة([1])

وقال عكرمة: نزلت في مهاجري أصحاب محمد عليه السلام خاصة " ([2])

وهذان القولان -لا شك- إضافة إلى ما ينطق به ظاهر الآية من العموم ([3])، غير أنهما يندفع بهما الإشكال، إذ قد تحقق الأمن لإبراهيم عليه السلام حين

---

[1]) تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١١/ ٥٠٢)

[2]) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٣١٥)

[3]) وهو الراجح في المراد هنا بلا شك، وسيأتي دفع الإشكال في الآية بناء على التسليم به بعد ذلك.

تمالأ عليه قومه وأرادوا به كيدا، فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم، فأمنه الله ﷻ وقال ﴿ يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ كما أن الأمن قد تحقق لمهاجري الحبشة إذ نجوا من أيدي كفار مكة ولجأوا إلى ملك الحبشة الذي رفض أن يسلمهم إلى سفراء قريش، وقال لهم: «اذهبوا فأنتم شيوم في الأرض (الشيوم: الآمنون في الأرض) من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم (ثلاثا) ما أحب أن لي دبرا وأني آذيت رجلا منكم. (والدبر بلسانهم: الذهب)» ([1]).

وأما الوجه الثاني:

فقد أجمع المفسرون على أن زمانَ هذا الأمن التام يومُ القيامة

حتى قال الواحدي: " وهذه الآية دليل أن من مات لا يشرك بالله وجب أن يكون عاقبته الأمن من النار" (٢)

يقول الطبري: «إن الله عنى بهذه الآية خاصًّا من خلقه دون الجميع منهم، والذي عنى بها وأراده بها، خليلَه إبراهيم ﷺ، فأما غيره، فإنه إذا لقي الله لا يشرك به شيئًا فهو في مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التي لا تبلغ أن تكون كفرًا، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه، وإن شاء تفضل عليه فعفا عنه"([3])

ولا يقال: إن (الأمن) هنا عام في الاشخاص والأزمان والأحوال؛ لأن العموم إنما يعتبر بالاستعمال المنضبط بمقتضيات الأحوال التي تقضي القرائن

---

[1]) صحيح السيرة النبوية» (ص١٧٦)

[2]) التفسير البسيط» (٨/ ٢٥٦)، ولعل مقصوده (الأمن من الخلود في النار) وهذا بفضل الله ورحمته ؛ إذ لا يجب على الله ﷻ شيء.

[3]) «تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١١/ ٤٩٢)

بالقصد إليها، مثل قوله تعالى ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ فالعموم فيه متوجه إلى ما يناسب ملكها، فلا يدخل فيه ملك سليمان مثلا، وهكذا الآية هنا، ف(الأمن) المذكور -وان كان على عمومه- معتبر في كونه من موجبات (الإيمان) المذكور في الآية، وفي مقابل (الخوف من الله) المذكور في الآية السابقة؛ ولذلك فهو متوجه إلى زمان معين يكون فيه تاما للمؤمنين، كما يكون الخوف شديدا على الكافرين، ويؤيد ذلك تنصيص القرآن على (أمن المؤمنين) يوم القيامة، يأمنون من الفزع، يأمنون من المؤاخذة، يأمنون من الخلود في النار، قال ﷻ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩] وقال ﷻ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧]

وعليه، فمعنى الآية كما قاله الطبري: «هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأيّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون"؟ فقال الله تعالى ذكره، فاصلا بينه وبينهم: الذين صدَّقوا الله وأخلصُوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم -يعني: بشرك- ولم يشركوا في عبادته شيئًا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصًا، أحقّ بالأمن من عقابه من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ، فإنهم الخائفون من عقابه، أمَّا في عاجل الدنيا

فإنهم وجِلون من حلول سخَط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذابِ الله» ([1])

[1]) المصدر السابق.

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٤]

موطن الوهم:

ظاهر الآية يشير إلى تأثر عموم المؤمنين بذكر الله ﷻ، وزيادة إيمانهم إذا سمعوا القرآن، والتزامهم بالصلاة والزكاة، وهذا كله غير متحقق في كل المؤمنين، فإما أن يلزم القول بنفي الإيمان عمن يفقد هذه الصفات أو إحداها، أو أن نقول بمخالفة الخبر القرآني للواقع!!

سبب الوقوع في الوهم:

الذي أوقع في هذا الوهم أمران:

الأول: الجهل بأساليب العرب في الكلام.

الثاني: اجتزاء قراءة النص.

البيان:

أما الأول: فالعرب في كلامهم تعبر بالغالب الأعم من الأحوال، وقد جرى القرآن على سننهم في الكلام، فهو "يعبر عن الأصل بالغالب لغلبة اعتباره وهذا ملاك المسائل التي عدها المصنف وقد صرح -القرافي- بأن الوجه هو اعتبار الغالب، وتقديمه على النادر وهو شأن الشريعة وقد يلغي الشارع الغالب تخفيفًا ورحمة ويقدم عليه النادر وهو حينئذ الأصل» ([1])

[1]) «حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح» (٢/ ٢٣٢) باختصار

والأصل أن للقرآن تأثيرا عجيبا في نفوس سامعيه، كما قال ﷻ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، والأصل كذلك أن لذكر الله تعالى تأثيرا عجيبا في نفوس ملازميه، كما قال ﷻ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ، وهذه الآية القرآنية اعتبر فيها هذا الأصل، فجاءت بهذه الصيغة التي فهم منها العموم -وهو غير مراد- ؛ فوقع هذا الوهم !!

جاء في تأويلات أهل السنة: «يحتمل وجوهًا:

يحتمل قوله: إنما المؤمنون الذين حققوا إيمانهم بما ذكر من الأفعال.

والثاني: إنما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم بما ذكر من الأفعال من وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كانوا عليه، ليس كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في إيمانهم، كما وصفهم في آية أخرى؛ حيث قال: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى)، وكانوا إذا أنفقوا أنفقوا كارهين، وكانوا لا يذكرون الله إلا قليلًا مراءاة للناس، وأما المؤمنون فهم الذين يقومون بوفاء ذلك كله حقيقة، فيظهر صدقهم بذلك، وهو ما وصفهم به في آية أخرى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).

ويحتمل أن يكون على الاعتقاد خاصة، ليس على نفس العمل؛ كأنه قال: إنما المؤمنون الذين اعتقدوا في إيمانهم ما ذكر من وجل القلوب والخشية عند ارتكاب المعصية، والتقصير عن القيام بما عليه، وما يرتكب المؤمن من المعاصي إنما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب؛ كقوله: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)، يرتكب ذلك إما لغلبة

شهوة، أو يعتقد التوبة من بعده، أو يرجو رحمة الله وفضله في العفو عن ذلك، فيكون قوله: إنما المؤمنون الذين اعتقدوا لإيمانهم ما ذكر من الأفعال؛ وهو كقوله: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)، هو على الاعتقاد والقبول له: أنهم إذا اعتقدوا ذلك وقبلوا، يخلى سبيلهم وإن لم يقيموا الصلاة وما ذكر وكذلك الأول يحتمل ذلك" (١)

كما جرى العرب في كلامهم على المبالغة التي يحملها -من لا يعرف كلامهم- على الحقيقة، وهي غير مرادة !!، فمعنى الآية كما عند الواحدي: " إنما المؤمن الذي إذا خوف بالله فرق قلبه وانقاد لأمره خوفًا من عقابه، ومفهومه: ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزل في كتابه، والإشارة فيه إلى إلزام أصحاب بدر طاعة الرسول فيما يرى من قسمة الغنيمة» (٢)

وهو ما صرح به ابن عطية حين قال: «ظاهرها أنها للمبالغة والتأكيد فقط أي الكاملون» (٣).

وأما الثاني: فيبدو أن الذي وقع في هذا الوهم لم يكلف نفسه عناء الوصول لآخر الآية!! فكأنه لم يقرأ ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾، ولو قرأها لبان له أن الكلام عن صفات التمام فقط

قال العلامة البغوي: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، يَعْنِي يَقِينًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: برؤوا من الكفر. وقال مُقَاتِلٌ: حَقًّا لَا شَكَّ فِي إِيمَانِهِمْ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ

---

١) «تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٥٢)

٢) «التفسير البسيط» للواحدي (١٠/ ١٧)

٣) «تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٥٠١)

لَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ مُؤْمِنًا حَقًّا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا وَصَفَ بِذَلِكَ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ عَلَى أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ، وَكُلُّ أَحَدٍ لَا يَتَحَقَّقُ وُجُودُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ فَقَالَ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ والجنّة وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، فَأَنَا بِهَا مُؤْمِنٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَوْلِهِ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ الْآيَةَ، فَلَا أَدْرِي أَمِنْهُمْ أَنَا أَمْ لَا؟،

وَعن عَلْقَمَة قال: كُنَّا فِي سَفَرٍ فَلَقِينَا قَوْمًا فَقُلْنَا: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نُجِيبُهُمْ حَتَّى لَقِينَا ابْنَ مَسْعُودٍ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَا قَالُوا، قَالَ: فَمَا رَدَدْتُمْ عَلَيْهِمْ؟ قُلْنَا: لَمْ نَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، قَالَ: أَفَلَا قُلْتُمْ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْتُمْ؟ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أهل الجنّة» (١)

واعتبر الرازي تحصيل واحدة من هذه الصفات علامة وجود الإيمان في القلب، فإذا تمت لعبد فقد تم له الإيمان، قال رحمه الله: «وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ حُصُولِ أُمُورٍ خَمْسَةٍ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.. الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً... الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: لِلْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.. وَالصِّفَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرَاتِبَ الثَّلَاثَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ أَحْوَالٌ مُعْتَبَرَةٌ فِي الْقُلُوبِ وَالْبَوَاطِنِ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى رِعَايَةِ أَحْوَالِ الظَّاهِرِ وَرَأْسُ الطَّاعَاتِ

١) «تفسير البغوي - إحياء التراث» (٢/ ٢٦٨)

الْمُعْتَبَرَةِ فِي الظَّاهِرِ، وَرَئِيسُهَا بَذْلُ النَّفْسِ فِي الصَّلَاةِ، وَبَذْلُ الْمَالِ فِي مرضاة اللَّه " ([1])

[1]) «تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (١٥/ ٤٥٠)

الآية التاسعة قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]

موطن الوهم:

منطوق الآية -وآيات أخرى مثلها- يصرح أن القرآن شفاء من الأمراض بشكل عام، وشفاء من أمراض الصدور بشكل خاص، والواقع أن كثيرا من الناس يمرض، ويقرأ القرآن، أو يقرأ عليه القرآن، ولا يبرأ من علته.

سبب الوقوع في الوهم:

أولا: عدم العلم بأساليب العرب في الكلام.

ثانيا: حمل (ما) على العموم، وهو غير مراد.

ثالثا: اجتزاء قراءة النص.

البيان:

أما الأول: وهو عدم العلم بأساليب العرب في كلامهم، فقد أدى بصاحبه هنا إلى حمل الكلام على الحقيقة في كلمة (شفاء)، مع أنه قد جاء هذا الوصف في القرآن في مواطن أخرى على سبيل المجاز، قال ﷻ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال ﷻ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]،

وانما قلت على سبيل المجاز؛ لقرينة لفظية، وأخرى عقلية

أما اللفظية فالمعطوف على (شفاء) في الآيتين ليس حقيقة؛ إذ (الخسار) المذكور في سورة الإسراء، (والوقر والعمى) المذكوران في سورة فصلت ليست على سبيل الحقيقة،

وأما القرينة العقلية فلأنه ليست من وظيفة القرآن ولا من أهدافه التي نزل لتحقيقها أن يشفي أمراض الأبدان -وان ثبت ذلك في بعض الحوادث- بل وظيفته الأهم والاكبر أن يعالج فساد القلوب وضلال العقول؛ ولذا فهو محمول -في هذه المواطن- عند أغلب المفسرين على المجاز، قال العلامة الطبري «وَقَوْلُهُ: {وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ} يَقُولُ: وَدَوَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْجَهْلِ، يَشْفِي بِهِ اللَّهُ جَهْلَ الْجُهَّالِ، فَيُبْرِئُ بِهِ دَاءَهُمْ وَيَهْدِي بِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أَرَادَ هِدَايَتَهُ بِهِ» ([1])

وأما الثاني: وبالتالي فإن حمل (ما) على العموم في كل مرض، غير صحيح هنا؛ لما تقدم.. نعم ثبت بصحيح الأحاديث أن بعض آيات القرآن وسوره رقية، يُرقَى بها المعيون والمحسود والمسحور؛ فيبرأ بإذن الله، لكن هذا ليس معناه أن يكون القرآن شفاء للأمراض العضوية كذلك ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا﴾.

وأما الثالث: وهو اجتزاء قراءة النص؛ وقد أدى إلى الغفلة عن الشرط المضمن في آخر الآية، ومعنى هذا: أننا لو سلمنا أن (الشفاء) على الحقيقة، وأن (ما) باق على عمومه، فإن هناك شرطا متضمنا في آخر الآية، وهو شرط (الإيمان) وهذا لا يعلم حقيقته ودرجته -ولا يحكم بقبوله- إلا الله سبحانه، فليس لأحد أن يحكم لنفسه أو غيره بزيادة إيمان أو بقوته أو بقبوله، قال ﷻ ﴿ قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ ، ومن ثم فالقرآن

[1]) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر» (١٢/ ١٩٣) ومثله في تفسير البغوي (٤/ ١٣٨)، وتفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (٢/ ٣٥٣) وتفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٣) وغيرهم.

شفاء لما في الصدور بشرط (الإيمان الصادق) كما قال ﷻ في هذه الآية ﴿ وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾، قال القرطبي: قوله " (لِلْمُؤْمِنِينَ) خَصَّهُمْ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِالْإِيمَانِ " ([1])

معنى الآية:

وللعلامة الفخر الرازي في هذه الآية كلام نفيس، أختصره هنا، حيث قال رحمه الله: «اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْقُرْآنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِصِفَاتٍ أَرْبَعَةٍ: أَوَّلُهَا: كَوْنُهُ مَوْعِظَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَثَانِيهَا: كَوْنُهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ. وَثَالِثُهَا: كَوْنُهُ هُدًى. وَرَابِعُهَا: كَوْنُهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، ذلك أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ كَالطَّبِيبِ الْحَاذِقِ، وَهَذَا الْقُرْآنُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ أَدْوِيَتِهِ الَّتِي بِتَرْكِيبِهَا تُعَالَجُ الْقُلُوبُ الْمَرِيضَةُ. ثُمَّ إِنَّ الطَّبِيبَ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرِيضِ فَلَهُ مَعَهُ مَرَاتِبُ أَرْبَعَةٌ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَا يَنْبَغِي وَيَأْمُرَهُ بِالِاحْتِرَازِ عَنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِسَبَبِهَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَرَضِ، وَهَذَا هُوَ (الْمَوْعِظَةُ)

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَسْقِيَهُ أَدْوِيَةً تُزِيلُ عَنْ بَاطِنِهِ تِلْكَ الْأَخْلَاطَ الْفَاسِدَةَ الْمُوجِبَةَ لِلْمَرَضِ، وهو (الشِّفَاءُ)

وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: حُصُولُ (الْهُدَى)، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ لَا يُمْكِنُ حُصُولُهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ، لِأَنَّ جَوْهَرَ الرُّوحِ النَّاطِقَةِ قَابِلٌ لِلْجَلَايَا الْقُدْسِيَّةِ وَالْأَضْوَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَفَيْضُ الرَّحْمَةِ عَامٌّ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَلَى مَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا» وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ (وَهُدىً).

---

[1]) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ٣٥٣)

وَأَمَّا الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: فَهِيَ أَنْ تَصِيرَ النَّفْسُ الْبَالِغَةُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالْمَعَارِجِ الرَّبَّانِيَّةِ بِحَيْثُ تَفِيضُ أَنْوَارُهَا عَلَى أَرْوَاحِ النَّاقِصِينَ فَيْضَ النُّورِ مِنْ جَوْهَرِ الشَّمْسِ عَلَى أَجْرَامِ هَذَا الْعَالَمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)» ([1]) انتهى كلامه رحمه الله. والله تعالى أعلم.

[1]) «تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير» (١٧/ ٢٦٨ - ٢٦٩) بتصرف واختصار

الآية العاشرة: قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]

موطن الوهم:

«بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه كفي نبيه – ﷺ – المستهزئين الذين كانوا يستهزئون به وهم قوم من قريش. وذكر في مواضع أخر أنه كفاه غيرهم؛ كقوله في أهل الكتاب: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} الآية، وقوله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} الآية، إلى غير ذلك من الآيات» (١)

والتاريخ والواقع يؤكدان لنا أن النبي ﷺ لم يسلم من أذى المشركين واتهاماتهم وتشكيكهم فيه ﷺ وفي نبوته، كما أن هناك ميديا إعلامية (رسوم كاريكاتيرية (٢) وأفلام (٣)) منتشرة تسيء إلى الرسول وتستهزئ به ﷺ.

أسباب الوهم:

أولا: عدم العلم بأصول الدين وثوابته.

---

١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/ ٢٤٤ ط عطاءات العلم)

٢) رسوم قامت صحيفة يولاندس بوستن الدنماركية بنشرها في ٣٠سبتمبر ٢٠٠٥. حيث نشرت ١٢ صورة كاريكاتيرية للرسول محمد بن عبد الله، وبعد أقل من أسبوعين وفي ١٠ يناير ٢٠٠٦ قامتالصحيفة النرويجية Magazinetوالصحيفة الألمانية ديفيلت والصحيفة الفرنسية France Soir وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر تلك الصور الكاريكاتيرية.

٣) مثل فيلم براءة المسلمين (بالإنجليزيةInnocence of Muslims:) كما عرف سابقا باسم براءة بن لادن (بالإنجليزيةInnocence of Bin Laden:) وأخرج باسم محاربو الصحراء (بالإنجليزيةDesert Warriors:)، وهو فيلم أمريكي معادي للإسلام اشتهر لانه أدى إلى احتجاجات أمام السفارات الأمريكية في العديد من الدول الإسلامية منها مصر وتونس واليمن والعراق

ثانيا: عدم العلم باللغة العربية وأساليب العرب في الكلام.

ثالثا: عدم تحديد المراد من الكلمة.

البيان:

أما الوجه الأول: فقد قرر القرآن الكريم في غير موضع طبيعة الرسل، وأنهم بشر ﴿ يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ ويتزوجون ويتكاثرون ويموتون، كما قرر القرآن الكريم أن من طبيعة الرسالة -إذ تصطدم بواقع الناس- أن تلاقي من المرسل إليهم عجبا ودهشة وصدودا في بداية الأمر، وأن هذا باب لاستهزائهم بالرسل ونيلهم منهم، قال ﷻ ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات] وقال ﷻ ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [فصلت: ٤٣] وأخرج البخاري في كتاب بدء الوحي أن ورقة بن نوفل قال للنبي ﷺ: " لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ» ؟، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا" (١) فالقرآن قد قرر أن الرسل -وفيهم محمد ﷺ - تعرضوا للاستهزاء والتكذيب، وأن هذا من (لوازم) الرسالة، ومن ثم فإن النفي في الآية لا يتجه إلى الاستهزاء، بل إلى المستهزئين، وهم الوجه الثاني

الوجه الثاني: (عدم العلم باللغة العربية..) فهذا واضح من جهتين، الأولى: أنهم انصرفوا إلى الاستهزاء لا إلى المستهزئين، فالمعنى: "أن كل من يستهزئ بك يا محمد ﷺ سيتكفل الله ﷻ بعقوبته"، ولو كان (الاستهزاء) هو

١) «صحيح البخاري» (١/ ٧ ط السلطانية)

المراد لكان المعنى: "لن يستهزئ بالنبي محمد أحد أبدا" وشتان بين المعنيين، والجهة الثانية: أن الآية عبرت بصيغة الماضي (كفيناك) ولم تستعمل صيغة المضارع؛ للإشارة إلى أن فعل (الكفاية) **وقع فعلا** لأناس استهزءوا بالنبي محمد ﷺ فعاقبهم الله ﷻ ، كما جاء في كتب التفسير: «{المستهزئين} خمسة: الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث والحارث بن غيطلة أهلكهم الله - تعالى - قبل بدر لاستهزائهم برسوله ﷺ » (١) **ووقع حكما وعقوبة** لمن يستهزئ بالنبي ﷺ بعد ذلك.

الوجه الثالث: عدم تحديد المراد من الكلمة، إذ معنى (الكفاية) حفظ النبي ﷺ، لا منع غيره من الاستهزاء، وقد بان -من الوجه السابق- أن الآية في قوم مخصوصين، وعلى فرض عمومها، فهي تتناول العصمة من القتل خاصة، كما ذكر ذلك المفسرون: "قَالَ بَعْضُهُمْ: قوله: (كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ): الكفرة جميعًا؛ فمنعناهم عن أن يصلوا إليك؛ على ما قصدوا إليك من إهلاكك، وغيره؛ كقوله: " نصرت بالرعب مسيرة شهرين " (٢).

«وقوله تعالى ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: فاصدع بما أمرتك به، ولا تخف أحدا غيري؛ فإني أنا كافيك، وحافظك ممن عاداك» (٣)

---

١) تفسير العز بن عبد السلام» (٢/ ١٨٤) «تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٣/ ٢١٨)

٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٦٨)

٣) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل» (٣/ ٦٤)

وعليه؛ يكون المعنى: إنا حفظناك يا محمد عن أن تصل إليك يد أعدائك بقصد إهلاكك، وتكفلنا لك بعقوبة من يستهزئ بك في حياتك أو بعد موتك. ﷺ. والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبع هداه، وبعد

نتائج البحث:

فبعد هذه الجولة القرآنية يمكن استخلاص النتائج الآتية:

أولا: قلة المواطن القرآنية التي يمكن أن يتوهم فيها التعارض مع الواقع المعيش، ودونك حصر إجمالي بما وقفت عليه منها:

١. قال ﷻ ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾
٢. قال ﷻ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾
٣. قال تعالى ﴿ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾
٤. قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾
٥. قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾
٦. قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾
٧. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

٨. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

٩. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة: ٧١] والواقع أن العداوات بين المؤمنين كثيرة.

١٠. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾

١١. قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢] والواقع أن السماء كثيرا ما تمسك الماء ولا يجدي الاستغفار في نزول المطر.

١٢. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]

١٣. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩] والواقع أن هذه الظاهرة لم تعد موجودة عند كثير من الناس.

١٤. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] والواقع أن كثيرا من الصالحين يحيون حياة بائسة فقيرة.

١٥. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: ٩٩] وقال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥] والواقع أن الشيطان له أثر كبير على كثير من المؤمنين.

١٦. قال ﷻ ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤] والواقع أن فسادهم ليس مرتين فقط بل هو متجدد في كل زمان ومكان.

١٧. قال ﷻ: ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣] وقال ﷻ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦] والواقع أن بعض الأزواج عفيفون ونساؤهم لسن كذلك، والعكس أيضا.

١٨. قال ﷻ ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ والواقع ينطق بقوة وشجاعة غير المسلمين في مواجهة المسلمين، ومناصرة أهل الكفر لبعضهم.

ثانيا: كل ما وقع من تلك الخواطر، مجرد أوهام، لا تثبت عند التحقيق العلمي فيها.

ثالثا: أسباب مثل هذا الوهم كثيرة، يمكن ردها جميعا إلى أحد هذه الأسباب:

الأول: عدم الوقوف على سائر النصوص الواردة.

الثاني: اجتزاء قراءة النص.

الثالث: عدم العلم بسبب نزول الآية.

الرابع: عدم العلم بلغة العرب وأساليبهم في الكلام.

الخامس: عدم العلم بالفروق اللغوية بين المصطلحات العربية.

السادس: بوجهين واعتبارين، وهو الجامع للمتفرقات.

السابع: عدم مراعاة زمان الخطاب.

الثامن: حمل الكلام على العموم وهو غير مراد.

التاسع: عدم تحديد المراد من الكلمة من حيث دلالتها.

العاشر: عدم العلم بكيفية قراءة القرآن.

الحادي عشر: عدم العلم بأصول الدين وثوابته.

التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

أولا: ضرورة تفسير الآيات القرآنية تفسيرا يتفق مع قواعد التفسير ويلبي حاجات الواقع الحياتي.

ثانيا: ضرورة توجيه الباحثين في أقسام العقيدة والدعوة والتفسير إلى مواجهة مثل هذه الشبهات التي تصوب ضد القرآن والإسلام بما يفندها ويظهر زيفها وكذبها.

ثالثا: ضرورة دعم المواقع الالكترونية والقنوات الإعلامية بمثل هذه الأبحاث العلمية، التي تتصدى لهذه الشبهات وتصل لأكبر قدر ممكن من الناس.

المراجع
مرتبة على حروف الهجاء

١. الإتقان في علوم القرآن = المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م
٢. الأصلان في علوم القرآن = المؤلف: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله - الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف - الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن = محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣) الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)
٤. البحر المحيط في التفسير = المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) - المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ
٥. البرهان في علوم القرآن = المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م - الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات)

٦. البلاغة العربية أسبابها وعلومها وفنونها= لعبد الرحمن حسن حبنكة – ط: دار القلم دمشق، الدار الدمشقية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م
٧. التحرير والتنوير =تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد=لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفي: ١٣٩٣هـ) ط: الدار التونسية للنشر– تونس ١٩٨٤ هـ.
٨. تفسير ابن عطية = المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ) - المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
٩. تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفي: ١٢٧٠هـ) ت: علي عبد الباري عطية - الطبعة: الأولى - دار الكتب العلمية – بيروت - ١٤١٥ هـ
١٠. التفسير البسيط للواحدي = المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) - المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه - الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١١. تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - بالطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

١٢. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

١٣. تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل =المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) - تصحيح: محمد علي شاهين - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٤. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

١٥. تفسير الزمخشري =الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

١٦. تفسير السمرقندي = بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)

١٧. تفسير الطبري = جامع البيان ط دار التربية والتراث المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠الطبعة: بدون تاريخ نشر

١٨. تفسير العز بن عبد السلام = تفسير القرآن المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ) - المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي - الناشر: دار ابن حزم – بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

١٩. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن - المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٢٠. تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن = لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفي: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور-مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي - الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان -الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٢١. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة - المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) - المحقق: د.

مجدي باسلوم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٢. تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل = أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفي: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت - ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢٣. تفسير النكت والعيون = للماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (المتوفي: ٤٥٠هـ) - المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢٤. تفسير الواحدي = الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٢٥. التفسير والمفسرون= المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ) - الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة

٢٦. التقريب والإرشاد (الصغير) =المؤلف: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)

٢٧. قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

٢٨. حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول (لشهاب الدين القرافي تـ ٦٨٤ هـ) = المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) - الناشر: مطبعة النهضة – تونس - الطبعة: الأولى، ١٣٤١ هـ

٢٩. صحيح البخاري= الجامع الصحيح -المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي - الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني

٣٠. صحيح السيرة النبوية = المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ) - الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن - الطبعة: الأولى

٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري = المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي -الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

٣٢. قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت

٣٣. الكامل في التاريخ =المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)- تحقيق: عمر عبد السلام تدمري -

الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٣٤. معاني القرآن للأخفش =المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة - الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

٣٥. معاني القرآن وإعرابه = المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) - المحقق: عبد الجليل عبده شلبي - الناشر: عالم الكتب – بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣٦. الموافقات = المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) - المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - الناشر: دار ابن عفان - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٣٧. الموسوعة القرآنية المتخصصة = المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين - الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر - عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر= المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) -المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي - الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت -الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م